1

الباب الأول

اللغات السامية المواقع والأصول

الفصل الأول

اللغة العربية بين اللغات السامية

(المواقع الجغرافية والأصول التاريخية)

تمهيد:

تعد اللغة العربية واحدة من اللغات السامية، تلك الفصيلة اللغوية الكبيرة، التي تنتسب إلى الفصيلة اللغوية الأكبر: فصيلة اللغات السامية الحامية، ومن الجدير بالذكر أن الفضل يرجع إلى المستشرق (شلوتسر Schlozer) في إطلاق هذه الاسم الذي أخذه من جدول تقسيم الشعوب، الذي ورد بالتوارة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، حيث يقسم هذا الجدول شعوب العالم بعد حادثة الطوفان إلى ثلاثة أقسام، نسبة إلى أبناء نوح عليه السلام وهم: سام وحام ويافث، ولعله من الملاحظ أن هذا التقسيم قد تأسس على عوامل واعتبارات سياسية وجعرافية فقط، ولذلك نجده وقد جعل أقوامًا مثل: العيلاميين واللوديين من أبناء سام، لأنهما كانا من المنتسبين إلى الدولة الآشورية.

لكن (تيودور نولدكه) يؤكد أن الدراسات الحديثة قد أثبتت أنه لا توجد ثمة علاقة بين هذين الشعبين من حيث القرابة فيما بينهما من جهة أو بينهما وبين الآشوريين من جهة أخرى!!

كما يؤكد (نولدكه) أن ما ذكره هذا الجدول للمستشرق (شلوتسر) من أن الفينيقيين من أبناء حام، اعتمادًا على ما كان بينهم وبين المصريين من

صلات سياسية ، ليس صحيحًا ، بل الأمر على عكس ذلك ، فالفينيقيون أقوام ساميون، فهم أقرب إلى العبرانيين من حيث الأصل والنشأة والقرابة(١).

وتقع اللغة العربية ضمن مجموعة اللغات السامية الغربية الجنوبية تلك المجموعة التي يقسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام وهي:

١ - اللغة العربية الفصيحة.

٢ - اللغات اليمنية القديمة (السبئية - المعينية - الحميرية) .

٣ - اللغات الحبشية.

ويقسم بعض العلماء العربية إلى قسمين: الأول: العربية الشمالية: وهي لغة وسط الجزيرة العربية وشماليها، وهي تلك التي يطلق عليها: اللغة العربية الفصحى، التي نزل بها القرآن الكريم، وكتب لها ربّ العزة سبحانه الدوام والخلود إلى قيام الساعة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر) إلى جانب انتشارها في أنحاء المعمورة شرقًا وغربًا، لكونها لغة الدين الإسلامي الحنيف التي تلهج به ألسنة المسلمين في عباداتهم ودعواتهم من جهة، واتخاذهم لها لغة للعلم والحضارة والتقدم طوال قرون من جهة أخرى(٢) .

ويجدر بنا قبل أن نفصّل القول حول موقع اللغة العربية بين فصيلة اللغات السامية ، أن نقدم جدولاً تخطيطًا عامًا لهذه اللغات.

---

(١) انظر: اللغات السامية ٨

(٢) انظر: فقه اللغات السامية ١١ وما بعدها.

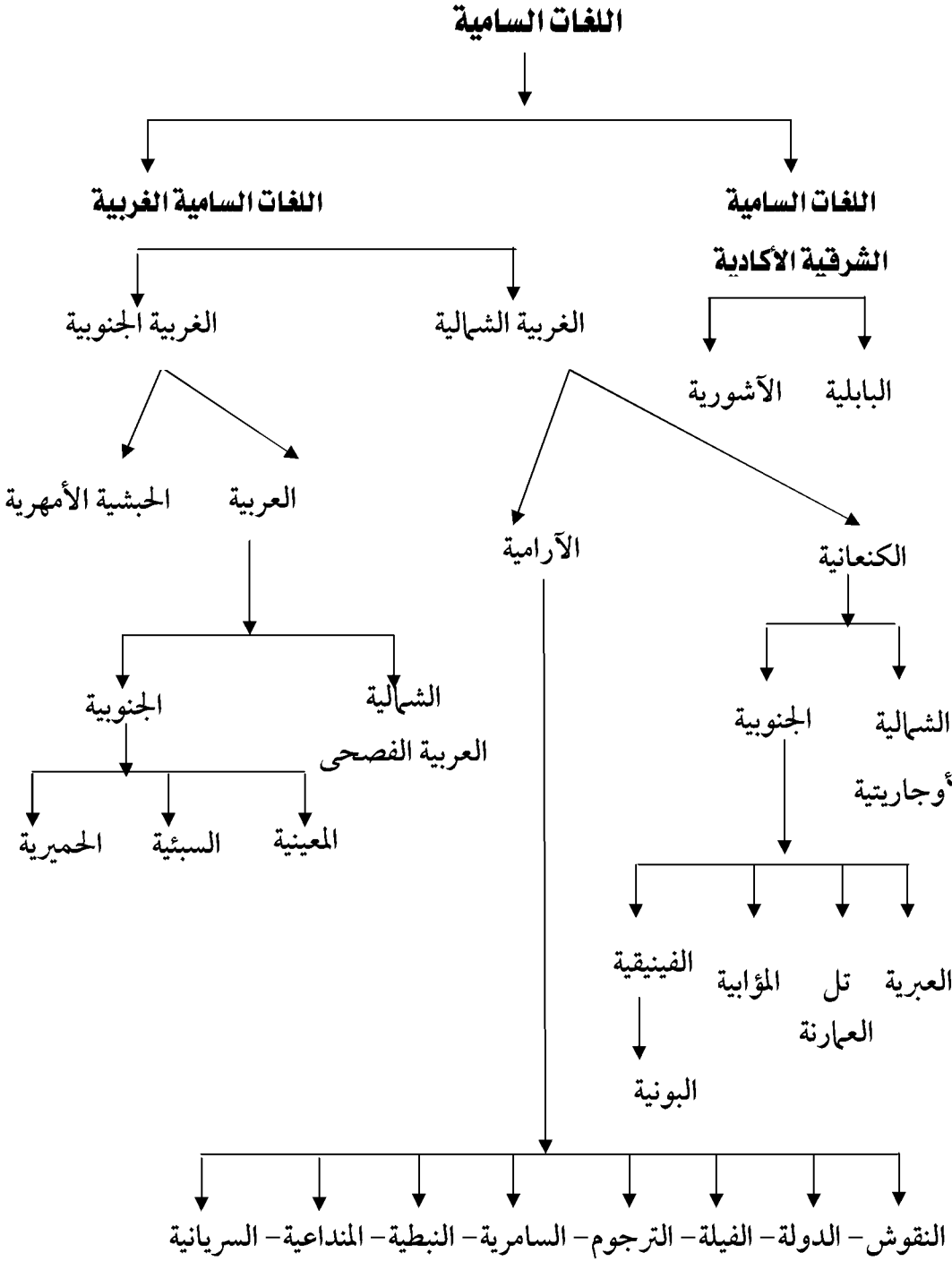
اللغات السامية
اللغات السامية الشرقية الأكادية
اللغات السامية الغربية
البابلية
الآشورية
الغربية الشمالية
الغربية الجنوبية
الكنعانية
الآرامية
العربية
الحبشية الأمهرية
الشمالية
الجنوبية
الشمالية الأوجاريتية
الجنوبية
العبرية
تل العمارنة
المؤابية
الفينيقية
البونية
العربية الفصحى
الشمالية
الجنوبية
المعينية
السبئية
الحميرية
النقوش – الدولة – الفيلة – الترجوم – السامرية – النبطية – المنداعية – السريانية

وفي حين يقسم بعض العلماء العربية إلى قسمين، هما: العربية الشمالية، والعربية الجنوبية، حيث تمثل اللغة العربية الفصحى القسم الأول، وتمثل اللغة اليمنية بأقسامها الثلاثة: السبئية والمعينية والحميرية، القسم الثاني كما هو الحال في المخطط السابق(١) .

فإن بعضهم الآخر يرى أن اللغة العربية (الفصحى) تؤلف مع اللغات اليمنية القديمة، واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة. يطلق عليها اسم: الشعبة السامية الجنوبية(٢)، حيث يرى د/ عبد الواحد وافي أن صلات القرابة التي تربط اللغة العربية باللغة اليمينية والحبشية أقوى كثيرًا من صلات القرابة التي تربطها بشعبة اللغات السامية الشمالية، وأن المقارنة في الخصائص اللغوية على مختلف مستويات اللغة الأربعة (الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالة) تؤكد ذلك(٣).

وعلى الرغم من أنه يؤكد أن صلات القرابة بين كل من اللغات اليمنية واللغات الحبشية السامية أقوى كثيرًا من صلات القرابة بينهما وبين اللغة العربية، حيث إن اللغة الحبشية، قد انشعبت بشكل مباشر من اللغات اليمنية القديمة، وأن السبب في ذلك يرجع إلى تأثير الهجرات القديمة من بلاد اليمن إلى الحبشة(٤).

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٣٤ ، ٣٦
(٢) انظر: فقه اللغة.
(٣) انظر: فقه اللغة.
(٤) انظر: فقه اللغة ٣٦-٣٧

المبحث الأول

اللغات السامية الشرقية

تعدُّ اللغة الأكادية الممثلة الوحيدة لمجموعة اللغات السامية الشرقية، وتنقسم اللغة الأكادية إلى فرعين اثنين هما:

١ – اللغة البابلية.

٢ – اللغة الآشورية.

وقد وصلتنا نقوش اللغة الأكادية مكتوبة بالخط المسماري- ويعدُّ قانون حمورابي أهم النقوش التي وردت إلينا مدونة بإحدى فرعيها، وهو اللغة البابلية.

وتنسب اللغة الأكادية إلى اسم مدينة قديمة تسمى: أكاد، بناها الملك سرجون في حوالي ٢٣٥٠ق . م كما أطلق عليها السومريون : كلدة ، كما أطلق عليها الساميون أور وقد بناها الملك سرجون لتكون عاصمة لدولته ، التي تعد أول دولة سامية في أرض الرافدين (١) . ويرى بعض الباحثين أن الموطن الأصلي للساميين الأوائل هو جنوب بلاد الرافدين ، في حين يرى بعض آخر أن موطنهم هو: الجزء الجنوبي الشرقي من قارة أفريقيا، ويرجح فريق آخر أن موطنهم الأصلي هو الجزيرة العربية ، وأنها هي المهد الأول للساميين(٢) .

(١) انظر: دراسات في فقه العربية ٦

(٢) انظر: تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٨/١

ويذكر العالم (موسكاتي) أن اللغة الأكادية قد ماتت منذ قديم الرمان ولم يعد لها وجود لغوي حي منطوق، سوى تلك النقوش التي أمدتنا بتاريخ الشعب الأكادي ، وأنه كان على قدر كبير من الحضارة والمدنية والتقدم ولم تكن ثمة معلومات موثقة عن هذه الحضارة ، سوى ما ورد من قصص وحكايات وردت في العهد القديم ولكن اهتمام علماء الآثار ، وبخاصة العالم الفرنسي (بوتا) قنصل بلاده في الموصل، الذي توصلت حفرياته في قرية: (خرسباد) بالقرب من الموصل إلى اكتشاف أجزاء من قصر سرجون الثاني (أحد ملوك آشور في القرن الثامن ق . م وذلك في مارس سنة ١٨٤٣م، ثم تواصلت الاكتشافات بعد ذلك على أيدي علماء فرنسيين وإنجليز وأمريكان منهم: (باروت Parot" و لايارد "Layard" و"مالون Mallown" وقد اكتشف هؤلاء العلماء مجموعة ضخمة من النقوش المكتوبة على لوحات من الطين المجفف المحروق، بثلاث لغات، إحداها باللغة الفارسية ، وقد تمكن العالم الإنجليزي "رولنسون Rowlison سنة ١٨٤٧م من فك رموز هذه اللوحات وحل غموضها، تمامًا كما فعل العالم الفرنسي شامبليون من فك رموز الهيروغليفية الموجودة على حجر رشيد التي كانت مكتوبة – أيضًا – بثلاث لغات إحداها اللغة اليونانية، لقد مكنت معرفة العالم: الفرنسي شامبليون باللغة اليونانية،

والإنجليزي رولنسون باللغة الفارسية ، من القدرة على اكتشاف اللغتين: الهيروغليفية؛ المصرية القديمة والأكادية بفرعيها (البابلي والآشوري) (١).

لقد كان النقش الذي اكتشفه "رولنسون" مكتوبًا بالخط المسماري، وقد عرف هذا النقش باسم "سجل دارا" الذي تم اكتشافه بالقرب من قرية "كرمان شاه" في فارس، وكان مدونًا باللغات الفارسية القديمة والعلامية والبابلية، واستطاع العلماء أن يؤكدوا أن اللغة الأكادية واحدة من اللغات السامية.

لقد استعملت اللغات الأكادية النهايات الإعرابية الثلاث: الرفع والنصب، والجر، كما هو الحال في اللغة العربية الفصحى، كما استعملت التميم رفعًا ونصبًا وجرًا مقابل التنوين في اللغة العربية وظل هذا الاستعمال كاملاً فترة من الزمن إلى أن ضاع منها بالتدريج على النحو الذي حدث لبعض اللغات السامية (٢) .

لقد امتدت اللغة الأكادية بفرعيها الآشوري والبابلي إلى خارج حدود بلاد الرافدين ، حيث تم اكتشاف وثائق مسجلة بها في تل العمارنة في سنة ١٨٨٧ بوادي النيل، عندما كانت عاصمتها في مصر في عهد أمنوفيس الثالث وأمنوفيس الرابع واخناتون، تلك الوثائق التي عرفت برسائل تل

---

(1) Moscati: Die altenitischen Kulturen 24

(٢) انظر: فقه اللغات السامية ١٧ وكذا دراسات في اللغة العربية ٣٩

العمارنة بين أمراء بابل وآشور وبعض أمراء فلسطين مدونة بالأكادية ، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر ق. م وتتضمن بعض التعليقات باللغة الكنعانية (١).

لقد عمرت الأكادية إلى ما يقرب من ألفين وخمسين عامًا ٢٥٠٠ عاما لغة حية منطوقة يستعملها أقوامها في حياتهم إلى جانب ما خلفته من تراث أدبي وديني، وتعد ملحمة "جلجامش" إحدى الملاحم الأدبية التي وصلتنا مكتوبة بالخط المسماري باللغات الآشورية والحبشية والسومرية، وترجمت إلى اللغات الأوربية . وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد أخذت غارات القبائل الآرامية تشتد على العراق، وسيطرت اللغة الآرامية على اللغات الأكادية التي استسلمت للغة الآرامية الغازية وتحولت إلى لغة ميتة في النطق، على الرغم من استعمالها في الكتابة حتى قبيل الميلاد المسيحي (٢) .

---

(١) انظر : بروكلمان ١٨ وكذا فقه اللغة ٢٨ حيث أورد تفصيلات حول هذه الرسائل وأماكن وجودها.

(2) Samdaris : The Epic of Galqamesh Penqain Book 19 , 60

جدول تخطيطي للغات الكنعانية

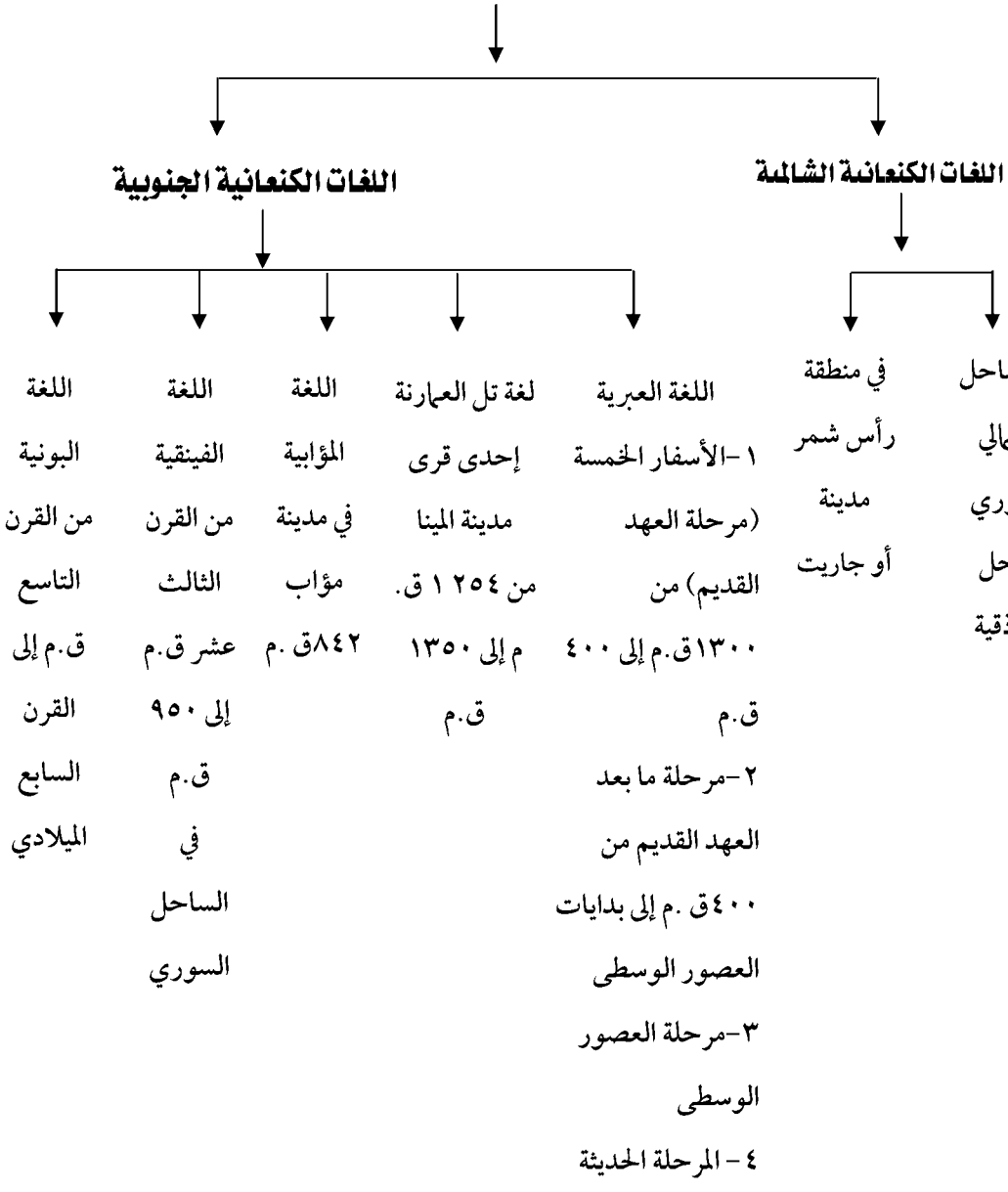

المبحث الثاني

اللغات السامية الغربية الشمالية

وتنقسم اللغات السامية الغربية الشمالية إلى قسمين وهما:

أ- اللغات الكنعانية.

ب-اللغات الآرامية.

١- اللغات الكنعانية:

كما أسلفنا في الرسم التخطيطي السابق، فإن اللغات الكنعانية تنقسم إلى قسمين الأول: الكنعانية الشمالية، والثاني: الكنعانية الجنوبية.

١ - اللغة الكنعانية الشمالية (الأوجاريتية)

وهي لهجة كنعانية قديمة كانت شائعة في مدينة أوجاريت وهي تقع على بعد ١٢ كليومترا في شمال اللاذقية على الساحل السوري، وقد تم اكتشافها بطريق الصدفة في سنة ١٩٢٩م، حيث عثر أحد الفلاحين وهو يحرث أرضه في "منية البيضة" الواقعة على الساحل الشمالي السوري على كتلة ضخمة من الحجر وما إن رفعها حتى ظهر مدخل تحت الأرض في نهايته مقبرة صغيرة مقبوة السقف، وجد فيها الفلاح فخارًا من الطين المحروق وزهريات صغيرة لم تصب بسوء، وقامت إدارة الآثار الفرنسية في بيروت بمعاينة المقبرة التي تؤكد وجود مدنية تابعة لها، وقد تابعت بعثة

الآثار الفرنسية حفرها في منطقة "رأس شمرا" المجاورة وظهرت تحت التل مدينة قديمة ، تلك هي مدينة "أوجاريت" التي تضرب في أعماق التاريخ آلاف السنين، وكانت مركزًا لدولة عظيمة ذات حضارة عظيمة، كما عثر على مئات النقوش، التي فكت رموزها، حيث كتبت بالخط المسماري وأنها كانت شبيهة بنقوش اللغة الأكادية، التي سبق اكتشافها، غير أنها اتبعت النظام الأبجدي، في حين اتبعت اللغة الأكادية النظام المقطعي([1]).

٢- اللغة الكنعانية الجنوبية:

وتشتمل اللغات الكنعانية الجنوبية على مجموعة من اللغات، كما يشير المخطط السابق، وتأتي ضمنها العبرية، ولغة تل العمارنة، واللغة المؤابية واللغة الفينيقية، التي تفرعت عنها اللغة البونية ([2]).

- **أولاً: اللغة العبرية**

ويعد العهد القديم ، أهم نص كتبت بها، وهو يشتمل على : التوراة، أسفار موسى الخمسة وهم:

١ – سفر التكوين.

٢ – سفر الخروج.

---

(1) Moscati: Die altsschn Kultren 81- 83

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٢٨ وما بعدها، وكذا: فقه اللغة ، حيث يقسم د/ وافي الشعوب الكنعانية إلى شعبين وهما الشعبة الفينقية والشعبة العبرية ويجعل اللغة الفينيقية فرعين هما: الفينقية الأصلية، والبونية، ويجعل اللغة العبرية موزعة على مرحلتين ٣٤- ٥٥

٣- سفر اللاويين.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التثنية.

إلى جانب كتب الأنبياء، ومزامير داود عليه السلام وأمثال سليمان عليه السلام وغيرها من المدونات.

أما أقدم نص لهذه اللغة فيتمثل في قصيدة "دبورة" التي ترجع إلى الألف الثانية قبل المسيح، وكان عصر الملوك المتأخر، هو عصر ازدهار الأدب، الذي تضمن أخبارًا عن الأنبياء وأحداث الأيام، ومنها اللوحة التذكارية التي عثر عليها في مدخل نفق " عين السلوان" بالقرب من بيت المقدس (١).

ويذكر د/ وافي ثلاثة مراجع وصلت إلينا اللغة العبرية عن طريقها، وهذه المراجع هي:

١- الكتب التي دونت باللغة العبرية، ويذكر منها: أسفار العهد القديم والمشناة وملحقاتها، وعدد كبير من المؤلفات القانونية والفلسفية والأدبية، التي دونها علماء اليهود على مختلف العصور.

٢- بعض النقوش الأثرية على لوحات من الصخر والمعدن.

٣- اللغة العبرية التي استخدمها اليهود في تلاوة الأوراد الدينية وآيات التوراة (٢).

---

(١) انظر : فصول في فقه العربية ٢٨ ، وكذا: الإصحاح الخامس سفر القضاة.

(٢) انظر: فقه اللغة ٤٧

ويقسم العلماء والباحثون المراحل التي مرت بها اللغة العبرية إلى مراحل كثيرة وتأثرت فيها كل مرحلة منها بالمؤثرات السياسية وعلاقات بني إسرائيل بالشعوب الأخرى وفي حين يحددها بعض الباحثين في أربع مراحل يقسمها آخرون إلى عصرين ، يشمل كل عصر على مرحلتين ([1]).

١ – **مرحلة العهد القديم** (**١٣٠٠ ق. م – ٤٠٠ ق. م**) وهي تمثل اللغة العبرية القديمة التي وردت في العهد القديم أو الكتاب المقدس عند اليهود ، الذي يشتمل على التوراة ، وهي أسفار موسى الخمسة سالفة الذكر، وعلى الرغم من أن السبي البابلي. وتخريب بيت المقدس ، على يد ملكهم: "بُختَنَصر" سنة ٥٨٦ق. م وآثاره القاسية على اليهود ولغتهم العبرية، إلا أنهم في سبيهم تمسكوا باللغة العبرية، أكثر من ذي قبل، وسجلوا بها بعضًا من روائع الأدب العبري ، بخاصة "رؤيا إشعيا" وحافظوا على لغتهم العبرية إلى أن عادوا من منفاهم إلى فلسطين في سنة ٥٢٨ ق . م والقرون التالية ، حيث أدى انتشار اللغة الآرامية على الألسنة إلى تقلص اللغة العبرية، وشاع فيها عوامل التحلل والفساد، مما اضطر رجال الدين إلى ترجمة ما يحتاجونه من أدعية وطقوس

(١) انظر : فقه اللغة ٤٩ـ ٥٣

دينية من العهد القديم إلى اللغة الآرامية، وبقيت هذه الترجمات فترة طويلة على ألسنتهم ، ثم دونت بعد ذلك وأطلق عليها : "التَّرجُوم"(١) .

٢- **مرحلة ما بعد العهد القديم (٤٠٠ ق. م حتى بدايات العصور الوسطى).**

وقد انتهت في هذه الفترة حياة اللغة العبرية كلغة للتخاطب . وفقدت من ثمة نفوذها المنطوق، على الرغم من تمسك اليهود بها كلغة للعلم والدين، وذلك للتأثير القوي الذي أحدثته اللغة الآرامية عليها.

ويطلق بعض العلماء على هذه المرحلة المرحلة التلمودية أو الربانية، لتميزها بكتابات الربانيين في الدين والقانون والتاريخ، التي تعرف باسم: "المشناة" أي التثنية ، في حوالي ثلاثة وستين كتابًا باللغة العبرية، تمثل الكتاب المقدس الثاني عند اليهود، وقد لجأ رجال الدين إلى شرحها باللغة الآرامية ، لغة التخاطب الشائعة بين اليهود، نظرًا لاندثار اللغة العبرية في التخاطب فيما بينهم، وشيوع اللغة الآرامية محلها، وأطلق على هذا الشرح اسم : "الجمارا" ، والمقصود بها: النصوص المكملة أو الإكمال ويتكون التلمود من ثمة من: المشناة والجمارا، وثمة تلمود بابلي، يتألف من المشناة

(١)انظر: فصول في فقه العربية ٢٨-٢٩

المشروحة باللغة الآرامية البابلية، والتلمود الفلسطيني الذي يتألف من المشناة المشروحة بالآرامية الفلسطينية ([1]).

٣- مرحلة العصور الوسطى: (مع بداية العصور الوسطى- أواخر القرن التاسع عشر الميلادي).

وقد اقتصرت اللغة العبرية في هذه المرحلة على الدراسات الدينية والأدبية والتاريخية ، وقد تأثرت اللغة العبرية في هذه المرحلة باللغة العربية تأثرًا كبيرًا، باعتبارها لغة الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي الحنيف وتجلى هذا التأثر باللغة العربية في الأندلس، حيث تهيأ لليهود ظروف متاحة من الحرية بعد ما لاقوه من سبي على أيدي البابلين، وتدمير للهيكل وبيت المقدس على أيدي الرومان سنة ٧٠ق . م ومارسوا الاطلاع على المؤلفات العربية في علوم النحو واللغة، وتمكنوا من قيام بحركة كبيرة من التأليف في النحو العبري متأثرين في ذلك بالمؤلفات النحوية العربية، وصنفوا عددًا من المعاجم اللغوية وظهرت أشعار متأثرة بالأوزان والتفاعيل العروضية العربية، كما ظهرت مؤلفات أدبية متنوعة نسج بعضها على منوال المقامات العربية ([2]). ويطلق على اللغة العبرية في هذه المرحلة العبرية الوسيطة.

---

(١)انظر : اللغات السامية ٣٩-٤٠ وأسس علم اللغة ١٧٢-١٧٣ وكذا

Moscati : The compartuie Grammar

(٢)أسس علم اللغة ١٧٤ ، وكا فقه اللغة ٥٣

٤- المرحلة الحديثة: (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)

وكان للحركة الصهيونية العنصرية؛ التي تدعو إلى قيام وطن لليهود في فلسطين، بعد تشتتهم في أنحاء أوربا والعالم أثر كبير في عودة اللغة العبرية من جديد على ألسنة اليهود، لغة للحياة والتخاطب بعد أن ظلت فترة طويلة مجرد لغة مكتوبة. وكان لليهود الشرقيين في دول أوربا الشرقية أثر كبير في إحياء اللغة العبرية، حيث يمثلون العدد الأكبر من سكان إسرائيل، وقد تأثرت هذه اللغة العبرية الحديثة بكثير من خصائص اللغات الأوربية في جميع المستويات اللغوية (الصوتية- الصرفية- التركيبية- الدلالية) نقلها المهاجرون اليهود من بلادهم في أوربا (١).

ثانيا: لغة تل العمارنة

وتُعدُّ هذه اللغة إحدى لهجات اللغات الكنعانية الجنوبية، وهي عبارة عن مجموعةمن الخطابات، تم العثور عليها في منطقة تل العمارنة (إحدى قرى محافظة المنيا) ويرجع تاريخها إلى حوالي عام ١٤٢٥ – ١٣٥٠ ق . م أرسلها أمراء سوريا وفلسطين إلى فراعنة مصر في ذلك الوقت باللغة الآشورية، وبها تعليقات باللغة الكنعانية (٢) .

---

(١) انظر : أسس علم اللغة ١٧٦

(٢) انظر: اللغات السامية ٣٨ وفقه اللغات السامية ١٧

ثالثًا: اللغة المؤابية

ويرجع نقش "ميشع" وهو ملك مؤاب إلى سنة ٨٤٢ق .م في القرن التاسع ق . م وقد تم العثور عليه في سنة ١٨٦٨م وهو عبارة عن نُصب تم اكتشافه في "ديبان" بأرض مؤاب القديمة، ويتضمن حكايات عن حروب الملك "ميشع" مع ملك اليهود المسمى: "عُمري" في حوالي ٣٤ سطرًا وهو مخطوط في متحف "اللوفر" بباريس (١) .

رابعًا: اللغة الفينيقية:

وصلت إلينا اللغة الفينيقية في عدة نقوش، من بينها نقش "شافطْ بعلْ" ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر ق . م ضمن مجموعة النقوش تنسب إلى ملوك بيبلوس (جبيل الحالية) ونقس: "أحذام" يرجع تاريخه إلى حوالي ١١٠٠ ق .م وكذا نقش: أخنيميلك "يرجع تاريخه إلى حوالي ١٠٠٠ ق . م ونقش الملك: كلمو، في حوالي ٩٠٠ ق . م ويعدُ هذا النقش من أهم النقوش التي دونت باللغة الفينيقية ، وهو أحد أمراء "سمال" وقد تم اكتشافه في "تل زنجيرلي" بسوريا وهو نقش محفوظ في متحف برلين الشرقية(٢). وتشبه اللغة الفينقية اللغة العبرية في كثير من خصائصها

---

(١) انظر: سفر الملوك الثاني ٤٤/٣ حيث روايات عن الملك ميشع.

(٢) انظر : اللغات السامية ٤٤-٤٥

وصفاتها على مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية، وكانت شائعة على طوال الساحل السوري واللبناني ، وقد امتدت هذه اللغة خارج حدودها شرقًا وغربًا على سواحل البحر المتوسط وشمال إفريقيا وفي جنوب أوربا حيث قبرص واليونان وأسبانيا، وكذا الساحل الإفريقي الشمالي([1]) .

خامسا : اللغة البونية

يرجع الفضل في وجود البونية إلى نشر الفينيقيين لغتهم عن طريق مستعمراتهم في شواطئ البحر المتوسط وبخاصة في شمالي إفريقية، حيث مدينة قرطاجنة والبلاد المجاورة لها، وقد وصل إلينا من نقوشها عدد كثير، بيد أنها نقوش موجزة العبارات والجمل، غير واضحة الدلالة، وأقدم هذه النقوش يرجع إلى القرن الرابع ق. م وتعدُّ المسرحية الشعرية الفكاهية للشاعر الروماني بلوت Plaute التي جاءت في حوالي عشرين بيتًا في الفصل الخامس باللهجة البونية إلى جانب ترجمة لها باللغة اللاتينية، في بعض أبياتها، في حوالي أواخر القرن الثالث ق . م وعنوانها: القرطاجيون، ويبدو منها بعض الاختلافات في الأصوات عن اللغة الفينيقية ويقسم بعض الباحثين اللغة البونية على مرحلتين ([2]):

---

(١) انظر: أسس علم اللغة ١٦٦ .

(٢) واللغات السامية ٤٦ وفقه اللغات السامية ٢١

الأولى: وتمثلها اللغة البونية القديمة، التي تبدأ بانتشار الفينيقيين في منطقة شمال إفريقيا في القرن التاسع ق . م ، وتنتهي بسقوط قرطاجنة عام ١٤٦ق . م على أيدي الرومان.

الثانية: وتمثلها اللغة البونية الحديثة، وترجع تاريخها إلى ما بعد سقوط قرطاجنة، وخضوع اللغة البونية لغلبة الرومان، حيث تأثرت باللغة اللاتينية، وشيوع ألفاظها وأصواتها، وكذا بعض دلالاتها في اللغة البونية الحديثة.

ويرجع الفضل إلى الفينيقيين في تعليم الأمم القديمة النظام الأبجدي للغاتهم وبخاصة في مناطق البحر المتوسط ، حيث أفاد اليونان منهم هذا النظام الأبجدي في حوالي القرن التاسع ق . م ، حيث احتفظوا بنفس الترتيب الأبجدي الذي ورثه الفينيقيون عن اللغة الأوجاريتية ، باستثناء أصوات الحلق، التي لم تكن موجودة عندهم، مع استحداث أصوات للحركات التي لم تكن موجودة في اللغة الفينيقية ، وقد عكس اليونان اتجاه الكتابة من اليمين إلى الشمال، وأصبح هذا الاتجاه سلوكًا في الخطوط المشتقة من اليونان، مثل الخط الروماني، الذي انتشر مع الكنيسة الكاثوليكية في

غرب أوربا، وكذا الخط الكربلي الذي انتشر مع الكنيسة الأرثوذكسية في شرق أوربا في كل من روسيا وشرق اليونان وبلاد الشرق الأدنى(١) .

ومن الملاحظ أن اللغة البونية، قد عمَّرت فترة طويلة من الزمن على الرغم من بعدها عن أخواتها من اللغات السامية، وما جرى بينها وبين اللغات السائدة في شمال إفريقيا من صراع وحروب فاللغات البربرية (لغات السكان الأصليين) واللغة اللاتينية (التي تمثل استعمارًا غازيًا بموجات وهجرات كبيرة) ولعل اختلافها في فصيلتها عن تلك اللغات، هو الذي أتاح لها هذا البقاء، ثم حين استعصت على الانضواء أو الاستسلام لهذه اللغات، وثمة دلائل تشير إلى استمرارها فترة طويلة، حتى بعد سقوط قرطاجنة سنة ١٤٦ ق . م وأنها ظلت حية منطوقة حتى القرن الخامس الميلادي، بل إنها ظلت كذلك حية إلى ما بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي حيث استسلمت للغة العربية، لغة الدين الإسلامي والقرآن الكريم، مع اللغات التي انزوت واستسلمت تحت سلطان لغة القرآن الكريم، وإقبال المسلمين من شتى أصقاع الأرض عليها واعتناقهم للدين الحنيف، وحرصهم على تعلم لغة القرآن الكريم.

---

(١) انظر : أسس علم اللغة ١٦٧ ، وفقه اللغة ٣٦

جدول تخطيطي للغات الآرامية ولهجاتها

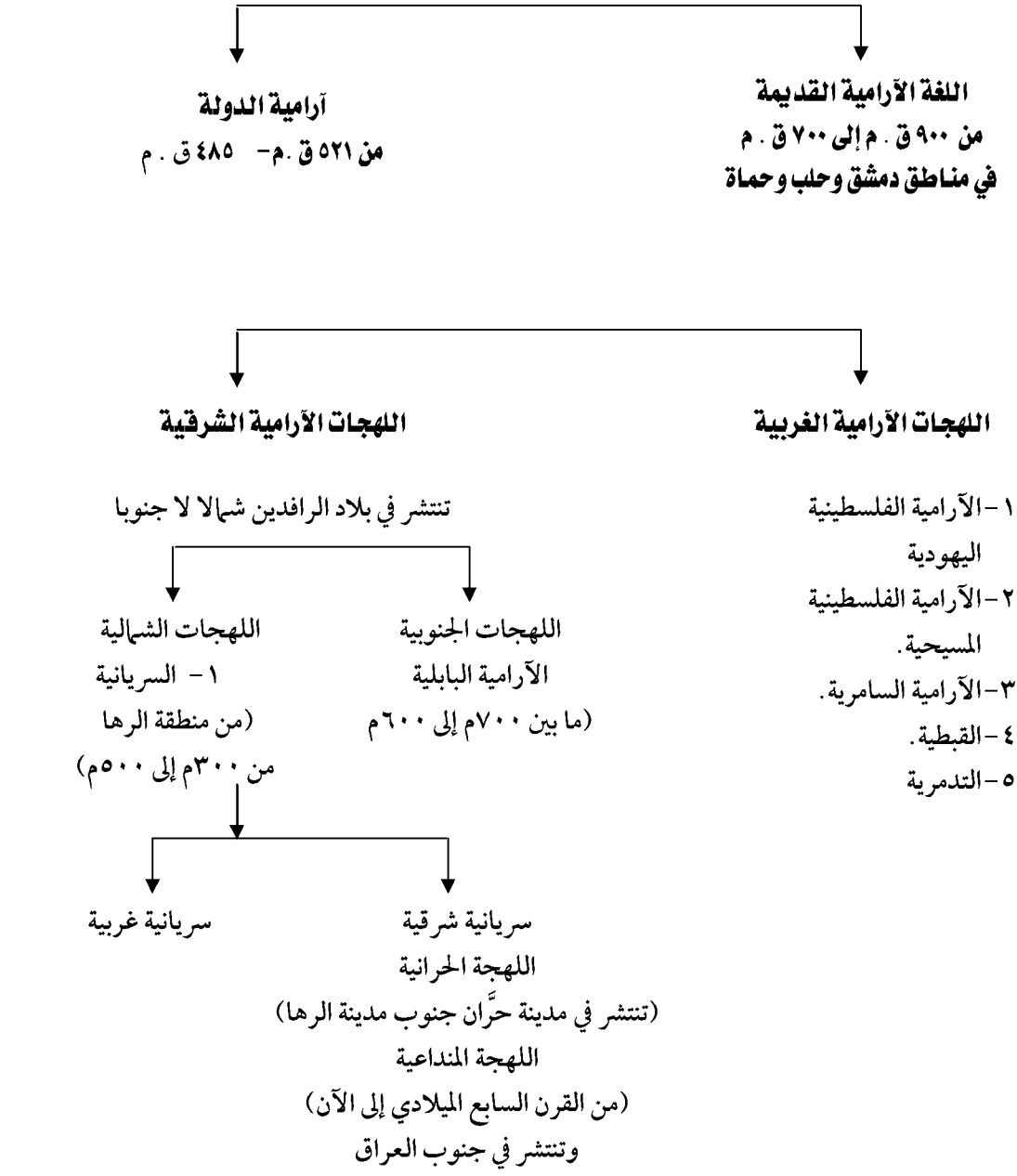

- **اللغات الآرامية (ولهجاتها)**

تعدُّ اللغة الآرامية ، القسم الثاني من أقسام اللغات السامية الغربية الشمالية وقد استطاعت هذه اللغة أن تبسط نفوذها وسيطرتها على إخواتها من اللغات السامية ، سواء تلك اللغات السامية الشرقية في بلاد الرافدين: الآشورية والبابلية، أو تلك اللغات السامية الغربية في سوريا وفلسطين. وقد كانت سيطرتها على أخواتها في الشمال الغربي أسبق بزمن طويل، حيث صرعت اللغات الكعنعانية، وبعدها قضت على اللغة العبرية في حوالي ٤٠٠ق . م ، وبعدها صرعت اللغة الفينيقية في القرن الأول ق . م ١٠٠ق.م.

واكتسبت اللغة الآرامية نظرًا لاتساع الرقعة المكانية للسكان المتكلمين بها مكانة عالمية، حيث امتد نفوذها إلى آسيا الصغرى، حيث كانت لغة مقربة ذات مكانة ونفوذ، وقد امتد نفوذها إلى بلاد تدمر والأنباط وسيناء بمصر، بل إنها وصل نفوذها إلى مصر إلى ما بعد العهد الفارسي بزمن طويل، فيما أكدته الاكتشافات من الوثائق التي تم العثور عليها في جزيرة فيلة (أنس الوجود) بل إنها تركت آثارها في اللغة العربية في شمال الجزيرة العربية، سواء على اللغة العربية أو على لهجاتها البائدة([1]).

ويقسم الباحثون اللغة الآرامية من حيث تاريخها إلى مرحلتين:

---

(١) انظر : فقه اللغة ٥٦-٥٨ ، واللغات السامية ٤٧ ، وفقه اللغات السامية ٢٢

- **الأولى : الآرامية القديمة :**

(ما بين القرنين العاشر والثامن ق . م)

ويمثل هذه المرحلة النقوش التي عثر عليها في مناطق دمشق وحلب وحماة، ومن هذه النقوش نقش "تل حلف" على نهر الخابور في حوالي (٩٠٠ – ٨٥٠ ق .م) ونقش الملك : "بنموَّ الأول" في حوالي (٨٠٠ – ٧٥٠ ق .م) ونقش الملك "بنمو الثاني" وابنه: بَرْ رُكَبْ في حوالي (٧٥٠ – ٧٠٠ ق . م)([1]).

- **الثانية: آرامية الدولة:**

وهي اللغة التي اتخذتها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية لغة رسمية، بعد سقوط الدولة الآشورية، وجعلها الملك الفارسي "داريوس الأول" (٥٢١ – ٤٨٥ ق . م) لغة الدواوين، كما يظهر في نقش: "بيهستون" الذي اكتشف في إيران في النصف الأول من القرن التاسع عشر([2]).

وقد كتبت أجزاء من كتاب العهد القديم باللغة الآرامية ومنها في سفر دانيال ٢/ ٤ ، ٧/ ٨ وفي سفر عزرا ٤/ ٨ ، ٧/ ١٢ – ٢٦ وسفر أرميا ١٠/ ١١ ، وكلمتان في سفر التكوين ٣١/ ٤٧ ، وقد سميت خطأ بالكلدانية متابعة لما ورد في سفر دانيال ٢/ ٤ من قوله : "فكلم الكلدانيون الملك بالآرامية"([3]).

---

(١) انظر: اللغات السامية ٤٧ ، وكذا فصول في فقه العربية ٣١

(٢) انظر : اللغات السامية ٤٧ وكذا : فصول في فقه العربية ٣١.

(٣) فصول في فقه العربية ٣٢

كما تم تدوين ما يطلق عليه "التَّرجُوم" وهو عبارة عن العهد القديم، الذي ترجم من اللغة العبرية إلى اللغة الآرامية، عندما استبهمت اللغة العبرية على أفهام اليهود وعقولهم ، فقد كان أحبارهم يتلون العهد القديم بالعبرية ، ويتبعونه بترجمة شفوية بالآرامية حتى اكتملت تلك التلاوة بلغة عبرية غير مفهومة، متلوة دائمًا بترجمة شفوية باللغة الآرامية الشائعة باعتبارها لغة التخاطب والتعامل اليومي، تم تدوين هذه الترجمات الشفوية في ترجوم يطلق عليه "أنكلوس onkelos" الذي لم يتم قبل القرن الخامس الميلادي (١).

ونظرا لاتساع الرقعة المكانية للمتكلمين من شعوب العالم القديم باللغة الآرامية، فقد أدى هذا التوسع المكاني إلى انقسامها إلى لهجات متفرعة عن الأصل الذي تنسب إليه. ويقسم الباحثون اللهجات المتفرعة عن اللغة الآرامية إلى قسمين أو مجموعتين ، هما:

أ- اللهجات الآرامية الشرقية:

وتنشر هذه اللهجات في بلاد الرافدين سواء في شماله أو في جنوبه، وقد صنفها بعض الباحثين إلى أربع لهجات، هي:

١ - **اللهجة الجنوبية (الآرامية البابلية)** : وهي التي شرح بها اليهود في مدرسة بابل كتاب "المشناه" الذي يطلق عليه "الشرح الجمارا"

(١) انظر : فصول في فقه العربية ٣٢ .

حيث يتألف منهما ما يعرف بتلمود بابل أو بالترجوم البالي. ويرجع تاريخ هذه اللجهة إلى ما بين القرن السابع الميلادي والقرن السادس الميلادي.

٢- **السريانية:** وتعد هذه اللهجة أهم اللهجات الآرامية حيث تنتشر في مدينة "أدسا" في شمالي العراق، وفقا للمصادر اليونانية، أو مدينة الرّها وأُرهى كما في المصادر السريانية، ويفضل الآراميون في هذه المنطقة تسمية أنفسهم بالسريان بعد اعتناقهم المسيحية في القرن الثاني الميلادي(١).

حيث أصبح الاسم القديم؛ الآرامي يدل على الوثنية والكفر، فتحاشوه وكرهوا تسمية أنفسهم به! وتبوأت الرها مكانة ومنزلة كبيرة، وأصبحت من أهم المراكز الثقافية المسيحية في الشرق، وتأثرت بالثقافة اليونانية التي زودتها بالألفاظ والأفكار الدينية والدنيوية، فأصبحت تلك اللهجة قادرة على استيعاب المعطيات الدينية والفلسفية والعلمية وغيرها. فظلبت لغة قوية إلى ما يقرب من ثلاثة قرون حتى القرن الخامس الميلادي، حيث انقسمت إلى قسمين (٢):

---

(١) انظر : اللغات السامية ٦٠

(٢) انظر: فقه اللغات السامية ٢٦ وكذا : فصول في فقه العربية ٣٣

سريانية شرقية: وهي سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم "نسطوريوس" ويسمون "النسطورين".

سريانية غربية: وهي سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم "يعقوب البردعي" ويسمون باليعاقبة.

وقد أدى هذا الانقسام في اللغة تبعا للخلاف الديني الكنسي إلى ظهور خطين جديدين من الخط السرياني القديم، الذي يطلق عليه: السطرنجيلي أو الاسترانجيلي، وهذا الخطان هما:

الخط النسطوري: ويسمى هذا الخط بالطريقة الشرقية، ويعرف في الهند باسم الخط الكلداني.

الخط اليعقوبي: ويطلق عليه أيضًا بالخط الماروني أو السرتو، ويسمى بالطريقة الغربية ([1]).

وبعد انتشار اللغة العربية في المناطق التي تتكلم السريانية، بعد الفتوحات الإسلامية، وذلك في حوالي القرن السابع الميلادي في كل بلاد الشام والعراق، تقلص دور اللغة السريانية ولهجاتها، وراحت تتروى وتزول أمام سلطان اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف، واختفت تمامًا من ألسنة الخطاب، حيث أقبل متكلموها على لغة الدين الإسلامي؛ اللغة العربية، واقتصرت اللهجات السريانية على رجال الدين وممارسة الشعائر ونحوها، إلى جانب استعمالها لغة للكتابة ،

---

(١) انظر: فقه اللغات السامية ٢٦ وكذا : فقه اللغة ٦٨

والتأليف، وظلت على هذا الحال حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي حيث تأثرت الكتابات السريانية باللغتين العربية والعبرية .

٣- الحرانية

وتنتشر هذه اللهجة الآرامية في مدينة حرَّان الواقعة إلى الجنوب من مدينة الرها، وكانت هذه المدينة إلى جانب مدينة الرها ونصيبين وجنديسابور من المراكز الثقافية الهامة لليونانية ، وقد كان لها دور كبير في نقل الثقافة اليونانية إلى اللغة العربية في العصر العباسي، وبخاصة في علوم الفلك والطب والفلسفة ، ويعدُّ العالم الشهير "قرة بن ثابت" وأبناؤه من أشهر أعلامها وعلمائها.

٤- المنداعية

وهي لهجة آرامية خالصة، كانت تنتشر إلى جنوب العراق، وما تزال موجودة إلى اليوم، وقد حافظت على مستوياتها اللغوية في الأصوات والألفاظ والتراكيب ، حيث لم تتأثر باللغة العبرية أو العربية أو اليونانية وبغيرها من اللغات الأخرى، ارتبطت هذه اللغة بطائفة دينية ظهرت في جنوبي العراق في القرن الرابع الميلادي ، تسمى "طائفة العارفين" ، أو : الروحين ، ولها كتاب مقدس يسمى: "جترا" ، أي : الكتر، وقد أطلق عليهم المسلمون : الصابئة، حيث كانت ديانتهم المسيحية باعتبارهم من أهل الكتاب مشوبة بالوثنية ([1]).

(١) انظر : فصول في فقه اللغة العربية ٣٣ وكذا: أسس علم اللغة ١٨٧ و ةفقه اللغة ٦٩

ب- اللهجات الآرامية الغربية:

وتنتشر تلك اللهجات في منطقة فلسطين وما حولها وتشتمل هذه اللهجات على خمسة لهجات، هي : الآرامية الفلسطينية اليهودية، والآرامية الفلسطينية المسيحية، والآرامية السامرية ، والنبطية ، والتدمرية.

١ - الآرامية الفلسطينية اليهودية:

وهي اللهجة التي استعملها أحبار اليهود في ترجمة العهد القديم من اللغة العبرية، وكذا شرح المشناة، حيث لم تعد اللغة لغة خطاب أو حديث يومي بين اليهود، بسبب سيطرة اللغة الآرامية ولهجاتها، حيث كان الأحبار يتلون الكتاب المقدس باللغة العبرية، يتبعونه بترجمة باللغة الآرامية، التي كانت شفهية فقط في أول الأمر، حفاظًا على النص العبري المقدس، ثم أصبحت هذه الترجمة دستورًا مقدسًا في تلاوتهم وقراءتهم للعهد القديم، وقد قام رجال الدين اليهودي فيما بعد بتدوين هذه الترجمات تحت اسم "الترجوم"، ويعد ترجوم "أنكلوس" هو أقدمها، وهو ترجمة لأسفار التوراة فقط، وكذا: ترجوم "يوناثان" وهو ترجمة لكتاب الأنبياء وهاتان الترجمتان باللهجة الفلسطينية اليهودية هما من أقرب الترجمات الآرامية للعهد القديم ، حيث تختلف عن اللهجة التي وردت في ترجوم أورشليم، كما شاعت تلك اللهجة أيضًا في التلاميد التي اشتملت على شروح المشناه([1]).

(١) انظر بروكلمان: فقه اللغات السامية ٢٤ ، وكذا انظر: اللغات السامية ٥٤ .

٢- الآرامية الفلسيطينة المسيحية:

وهي اللهجة الآرامية التي جرت على لسان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واستعملها في التخاطب بينه وبين الناس، وهي اللغة التي كتب بها الحواريون أسفار الأناجيل، ولكنها لم تصل إلينا في نصبها الآرامي ذلك! ولا يمتلك الباحثون أية وثائق لهذه اللهجة في تلك الفترة، ولم يعثر العلماء سوى على ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية لهذه اللهجات من خلال الترجمة اليونانية للأناجيل.

وبعد انفصال الفلسطينيين الملكانيين عن اليعقوبيين السريان في القرن الثالث الميلادي، حيث دعموا دولتهم واستقلالهم مع بدايات القرن الخامس الميلادي، وقاموا بترجمة العهدين القديم والحديث من اليونانية إلى لهجتهم الآرامية ، وقد استغرقت ترجمة العهد الجديد فترة طويلة استمرت من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الميلادي. أما العهد القديم فلم يترجموه عن الأصل العبري كما فعل اليهود، وإنما ترجموه عن الترجمة اليونانية المشهورة بالترجمة السبعينية .

٣- الآرامية السامرية:

تنتسب هذه اللغة إلى مدينة "سامرة" وكان أهلها من اليهود لا يؤمنون إلا بالتوراة فقط، وهي أسفار موسى الخمسة، وقد استعمل أحبار اليهود هذه اللهجة ، التي تعد إحدى اللهجات الآرامية الغربية في ترجمة

العهد القديم لليهود، الذي استعصت عليهم اللغة العبرية واستبهمت على أفهامهم لسيطرة اللهجات الآرامية، وقام أحبارهم بترجمة العهد القديم إليها فيما يعرف بالترجوم السامري، ويرى بعض الباحثين أن لغة السامريين قريبة من لغة تلمود أورشليم التي تنسب إلى جيرانهم في الخليل ([1]).

٤ - الآرامية النبطية:

(من القرن الثامن ق . م – إلى القرن الثالث الميلادي)

وتنتسب هذه اللهجة إلى شعوب عربية الأصل، وقد كونوا مملكة في شمال الجزيرة العربية، وكانت عاصمتهم "بترا" واتخذوا هذه اللهجة لغة للتخاطب والتعامل والتواصل فيما بينهم ([2]).

٥ - الآرامية التدمرية:

وتنتسب هذه اللهجة إلى مدينة تدمر، التي كانت عاصمة لإحدى الدويلات المشهورة في القرون الثلاثة الأولى من الميلاد، وما يزال بعض لهجاتهم حية حتى الآن في العصر الحديث ، تستعملها ثلاث قرى من الشام، منها قرية معلولة المسيحية بالقرب من دمشق، وقريتان أخريان مسلمتان مجاورة لمعلولة هما قريتا: "جبعدين" و "تجفا" ويطلق على لهجات هذه القرى الثلاث: اللهجات الآرامية الغربية الحديثة، ومن الملاحظ أنها ابتعدت عن أصولها القديمة([3]).

---

(١) انظر: اللغات السامية ٥٧ وفقه اللغات السامية ٢٦

(2) Moscati: the Semitics, p11

(٣) اللغات السامية ٥٩ وفقه اللغة ٧٠ وكذا Moscati : the semitics, p 12

وقد كانت اللغة الآرامية بلهجاتها التي أسلفنا ذكرها، سواء الناحية الشرقية أو الناحية الغربية، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي واجهتها مع اللغة العربية إلا أن الآرامية قد استسلمت وانقرضت على ألسنة التعامل والتواصل فيما بين متكلميها بعد صراع طويل امتد إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي في اللهجات الغربية فيما عدا ما أسلفناه من القرى الثلاثة في سوريا، في حين انقرضت الآرامية في الشرق، حيث استسلمت اللهجة السريانية للغة العربية مع نهايات القرن السابع الميلادي على الرغم من استمرارها لغة للكتابة والأدب والتعاليم الدينية حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وقد أفلتت بعض المناطق الجبلية في العراق من سلطان اللغة العربية ، حيث بقيت ولا تزال حية على ألسنة متكلميها حتى العصر الحاضر في بعض القرى في "طور عابدين" وبعض مناطق شرقي الموصل وشمال جبال الأكراد والشاطئ الشرقي لبحيرة أورميا، ويطلق عليها العلماء كما أسلفنا اسم: الآرامية الشرقية الحديثة، ويسميها بعضهم: السريانية الحديثة([1]).

(١) انظر: فقه اللغة ٧٠ – ٧١

جدول تخطيطي للغات السامية الغربية الجنوبية

اللغات السامية الغربية الجنوبية

العربية

العربية الجنوبية
(ما بين القرن الثاني ق.م إلى القرن السادس بعد الميلاد)
وتشتمل على:

١- اللغة المعينية (من جنوب اليمن إلى شمال الجزيرة العربية).
٢- اللغة السبئية (امتدت إلى القرن الرابع ق .م).
٣- اللغة الحميرية (ازدهرت بعد ٤٠٠ق.م).
٤- اللغة القتبانية (في شمال عدن، اندثرت في ٢٠٠ق.م).
٥- اللغة الحضرمية (في منطقة حضرموت وجنوب اليمن).
٦- اللغة الأمهرية (في شرق حضرموت ويطلق عليها المهرة، ويتكلم بها قرابة ثلاثة ملايين حتى الآن).
٧- اللغة الشجرية (في المناطق الجبلية، في شرق منطقة المهرة).
٨- اللغة السوقراطية (في جزيرة سوقطرة).

العربية الشمالية
اللغة العربية الفصحى
انتشرت في الحجاز والخبر
وما جاورها
ارجع تاريخ آثارها إلى ما قبل
٢٠٠ عام قبل الإسلام

الحبشية

وتنقسم إلى اللهجات الآتية

١- اللهجة العجزية (من حوالي ٣٥٠ق.م).
٢- اللهجة الأمهرية (ظهرت في حوالي ٣٠٠م).
٣- اللهجة التيجراينية (تنتشر في إريتريا باعتبارها اللغة الرسمية).
٤- اللهجة التيجرية (تنتشر إلى الشمال من منطقة تيجيريتيا، تمتد من مصوع إلى سواكن إلى دهلك).
٥- اللهجة الجوارجية (تنتشر في منطقة جوارجيا).
٦- لهجة هرر : (وتنتشر في مدينة : هرر).

المبحث الثالث

اللغات السامية الغربية الجنوبية

وتشتمل هذه اللغات على النحو الوارد بالمخطط السابق على لغتين اثنتين، هما:

١ – العربية.

٢ – الحبشية.

أولاً: العربية:

تنقسم العربية إلى قسمين هما:

١ – العربية الجنوبية.

٢ – العربية الشمالية.

- **العربية الجنوبية:**

(ما بين القرن الثاني عشر ق . م إلى القرن السادس الميلادي)

ويطلق عليها العلماء "اللغة الحميرية" وتسمى أيضًا مجموعة اللغات اليمنية القديمة، وتشتمل هذه اللغة على اللغات المعينية والسبئية والحميرية والقتبانية والحضرمية والمهرية والشحرية والسوقطرية.

- **اللغة المعينية:**

وقد أسسوا أقدم مملكة في جنوب اليمن، وقد اتخذوا مدينة: قرنا أو قرنانا عاصمة لهم، وعلى الرغم من عدم تحديد دقيق لفترة بداية هذه

المملكة، إلا أن ثمة شواهد تشير إلى أنها تكونت تقريبا من حوالي القرن الثامن ق . م.

امتد نفوذ مملكة معين إلى شمال الحجاز في منطقة العلا، بفعل العوامل التجارية، وقد عثر العلماء على نقوش تمثل هذه اللغة في كل من جنوبي الجزيرة العربية وشماليها، وقد لوحظ استخدامهم لحرف السين في وزن: أفعل في مثل:سفعل، في مقابل: الهاء في اللغة السبئية : هفعل.

- **اللغة السبئية:**

تأسست مملكة سبأ على أنقاض مملكة معين، وقد ذاع صيتها وشهرتها في التاريخ، حيث كانت تتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي كبير، وقد تداعت هذه المملكة على أيدي الأحباش في القرن الرابع ق . م وقد عثر العلماء على نقوش كثيرة لهذه اللغة، وقد لاحظ العلماء اشتمالها على كثير من الخصائص المشتركة فيما بينها وبين اللغة العربية، في جموع التكسير والتثنية، غير أنهم يستعملون الوزن: هفعل في مقابل أفعل في اللغة العربية، كما نلاحظ في الفعل: هراق وأراق في العربية، كما استعملت السبئية التمييم في مقابل التنوين في العربية، وكذا استعملت النون في أواخر الكلمة دلالة على التعريف.

ولم يعثر العلماء على نقوش لهذه اللغة في شمال الجزيرة، كما هو الحال في اللغة المعينية، واتخذت مملكة سبأ مدينة مأرب عاصمة لها، حيث أقاموا

لهم سدًا يوفر لهم الماء، وقد أصابهم الله تعالى بسيل عرم هدم سدهم، وشرد شملهم، إلى جانب ما أصابهم من عدوان الأحباش عليهم، وسلبهم الحكم منهم ([1]).

- **اللغة الحميرية القديمة:**

تنتسب هذه اللغة إلى أقدام حمير، الذين كانوا يتنازعون مع مملكة سبأ وسلطانها منذ فترة طويلة، كما اشتبكت لغتهم- أيضًا- مع اللغة السبئية ، دون التمكن من التغلب عليها، أو التقليل من شأنها أو دورها أو حتى الانتقاص من مواقعها ومناطقها، ولم تظفر اللغة الحميرية بطائل إلى أن تمكن الأحباش من القضاء على سلطان سبأ، ثم طردهم فيما بعد من بلاد اليمن في سنة ٤٠٠ ق.م وتولى الحكم في اليمن قوم من حمير وبدأت بعدها لغتهم تلمع وتظهر، وتصبح لغة للأدب والسياسة، كما تدل على ذلك النقوش التي وصلتنا عن هذا العصر، وهذه اللغة القديمة لحمير هي تلك التي ذكرها اللغوي أبو عمرو بن العلاء في قوله: "ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا" وثمة لغة حميرية حديثة تأثرت كثيرًا باللغة العربية، في خصائصها الصوتية واللفظية، وهي التي ذكرها اللغويون والمؤرخون العرب عندما يتحدثون عن لغة حمير وحضارتها باليمن([2]).

---

(١) انظر: فقه اللغة ٧٥- ٧٦

(٢) فقة اللغة ٧٥ - ٧٦

- **د- اللغة القتبانية:**

وتنسب هذه اللغة إلى قبائل قتبان، التي أسست مملكة لها في المناطق الساحلية الواقعة شمال عدن، وقد تمكنت ملكة سبأ من القضاء على مملكتهم، وإدماج بلادهم وانضوائها تحت سلطان مملكة سبأ في أواخر القرن الثاني ق . م ، وقد عثر العلماء والباحثون على نقوش تمثل هذه اللغة([1]).

هـ- اللغة الحضرمية

وتنسب هذه اللغة إلى القبائل التي أقامت في حضرموت في المنطقة الجنوبية من اليمن وأسسوا مملكتهم، التي نازعت مملكة سبأ سلطانها فترة طويلة، ولكنها استسلمت لها وانضوت في النهاية تحت لوائها كما حدث للغة القتبانية، وقد وصلت إلينا نقوش عثر عليها الباحثون تمثل هذه اللغة في مواطنها بجنوب اليمن ([2]).

ثمة لهجات ثلاث يمنية قديمة قد حافظت على خصائصها ومستوياتها من الضياع والاندثار بعد تغلب اللغة العربية وانتشارها بعد الفتح الإسلامي في بلاد اليمن، وما تزال هذه اللهجات حية حتى العصر الحاضر على الرغم من تغيرها وبعدها عن أصولها القديمة، وجذورها السامية أيضا، وهي:

---

(١) انظر: فقه اللغة ٧٧

(٢) انظر: فقه اللغة ٧٧- ٧٨ وكذا : فقه اللغات السامية ٣٣

- لهجة المهرة: ويتكلم بها سكان منطقة المهرة الواقعة شرق حضرموت، ويتحدث بها الآن ما يقارب ثلث مليون من جنوب اليمن، وبعض سكان دول الخليج العربي.
- لهجة الشحر: (اللهجة الأخكيلية) تلك اللهجة المنتشرة في المناطق الجبلية الواقعة في شرقي منطقة المهرة.
- لهجة سوقطرة : وتنتشر في جزيرة سوقطرة، والجزر المجاورة لها.

وقد استخدمت اللغات اليمنية الرسم الكنعاني في كتاباتهم ، فيما يعرف بالخط اليمني الذي يطلق عليه: الخط المسند، ويكتب الخط اليمني في الغالب مستعرضًا من اليمين إلى الشمال، كما يكتب في أحيان أخرى بالتبادل ما بين اليمين إلى الشمال في السطر الأول، والثاني من الشمال إلى اليمين ، والثالث من اليمين إلى الشمال وهكذا فيما يعرف بالطريقة الثعبانية وعدد حروف اللغات اليمنية هي تسعة وعشرون حرفا صامتا، ولم تكن الكتابة في تلك اللغات ترمز إلى الصوائت (الحركات) شأنها في ذلك شأن اللغة الأم: الفينيقية ، التي استمدت منها أنظمة الكتابة في اللغات الإنسانية، التي اتخذت النظام الأبجدي أسلوبًا وسلوكًا لها(١).

---

(١) انظر : فقه اللغة ٨٥ وكذا اللغة السامية ٩٤ وكذا : اللغات السامية ١٢ وأسسس علم اللغة ١٩١ ، أسس علم اللغة ١٩٢ .

ثانيا: اللغات الحبشية

تعدُّ اللغات الحبشية القسم الثاني لمجموعة اللغات الغربية الجنوبية، التي انتقلت من القارة الآسيوية إلى القارة الإفريقية، حيث هاجرت إليها القبائل اليمنية القديمة في جنوب الجزيرة العربية، واستوطنت هذه البلاد في موجات هجرة قديمة قبل الميلاد بقرون بعيدة، وقد امتزجت هذه الهجرات بالسكان الأصليين الذين ينتسبون للجنس الحامي، ولا نمتلك وثائق تاريخية تحدد لنا بدايات هذه الهجرات، لكنها كانت موجات متتابعة على مراحل. وقد اشتبكت لغات هؤلاء المهاجرين الذين يتكلمون لغات سامية جنوبية (يمنية) مع لغات السكان الأصليين، في مساحة تصل إلى حوالي ربع المساحة الكلية لأثيوبيا وإرتريا، لكنها تمثل الكثافة السكانية والازدحام البشري، حيث تمثل ما يصل إلى نصف سكان الإقليمين السابقين.

ويتكلم بقية سكان أثيوبيا بلغات حامية، تمثل اللغة الأصلية في أفريقيا بوجه عام، وكذا بعض اللهجات السودانية([1]).

وتذكر المصادر التاريخية أن القبائل العربية التي هاجرت إلى الحبشة انطلاقًا في موجات هجرة متتابعة عن طريق باب المندب- كان من أهمها قبيلة: حبشت، وقبيلة: جعز، وأن الحبشة من ثمة سميت بذلك نسبة إلى

---

(١) انظر: فقه اللغة ٨٧

تلك القبيلة: حبشت. وأن اللغة الجعزية، قد سميت بذلك – أيضا- نسبة إلى قبيلة الجعز (١).

ويقسم العلماء اللغات الحبشية إلى أقسام كثيرة، نذكر منها أهمها على النحو الآتي:

١- اللهجة الجعزية:

وتنسب هذه اللغة إلى القبيلة التي هاجرت إلى الحبشة، وهي من أقدم الشعوب السامية التي استوطنت هذه المناطق (الحامية) ويطلق بعض العلماء على هذه اللغة: الحبشية القديمة. وبعضهم يطلق عليها : اللغة الحبشية، دون وصفها، وتعدُّ من أقدم اللغات الحبشية القديمة السامية. وأقدم نصوص هذه اللغة ونقوشها يرجع إلى ٣٥٠ سنة ميلادية ، وأهم هذه النقوش تلك التي عثر عليها العلماء في مدينة: أكسوم (العاصمة في ذلك العصر) وينسبها بعض العلماء إلى الملك: عزانا، كما ينسبها بعض آخر إلى الملك: عميدا، وبعض ثالث إلى الملك : تازانا، كما وصلتنا٠ أيضًا- إلى جانب هذه النقوش، ترجمة للكتاب المقدس، وبعض المؤلفات الدينية، التي تمت ترجمتها إلى اليونانية.

---

(١) انظر: أسس علم اللغة ١٩٣ وكذا

Ulendorff : The Semitic Language of Echiopia, oxford, 57

يرجع نقش الملك: عزانا إلى حوالي ٣٥٠ ميلادية ، وهو أقدم النقوش التي عثر عليها العلماء، وقد وردت هذه النقوش على صورتين، واحدة منهما بالخط السبئي، والأخرى بالخط الحبشي القديم، وأما النقشان اللذان ينسبان للملك: آل عميدًا، فأحدهما مدون بالخط السبئي ، وهو مؤكد النسب إليه، أما النقش الآخر فهو مدون بالخط الحبشي الحديث، ويبدو أن اللغة الجعزية في عصر ذلك الملك، قد تأثرت باللهجات الحامية للسكان الأصليين، فانحرفت عن أصولها السامية. كما ورد نقشان ينسبان للملك: تازانا، ابن الملك السابق: آل عميدا، حيث جاء النقش الأول قبل دخول الملك الدين المسيحي، في حين جاء النقش الثاني بعد اعتناقه الدين المسيحي في القرن الخامس الميلادي، ودخول المسيحية في منطقة أكسوم.

وتذكر المصادر أن الكتاب المقدس قد تمت ترجمته إلى اللغة الجعزية في حوالي القرن الخامس الميلادي، وأن اللغة التي ترجم بها قريبة جدًا، أو تكاد تكون متطابقة مع النقوش المنسوبة إلى الملك: تازانا، كما يرجع تاريخ المؤلفات الأخرى التي وردت مكتوبة باللغة الجعزية إلى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي بعد دخول المسيحية في الحبشة، وقد تأثرت هذه المؤلفات اليونانية وتخلصت من كثير من القواعد القديمة للغة الحبشية السامية([1]).

(١) انظر: فقه اللغة ٨٨ وأسس علم اللغة ١٩٧

ظلت اللغة الجعزية لغة خطاب وتعامل خلال الفترة التي استغرقتها مملكة أكسوم، وبعد سقوطها وقيام مملكة: "كوا Choa" على أنقاضها تحت حكم الأسرة الأمهرية، وانزوت اللغة الجعزية واختفت في الاستعمال والتخاطب ، ولم يتبق منها سوى مناطق ضئيلة، لكنها ابتعدت عن أصولها وكونت لهجة منسوبة إلى منطقتها تسمى: التيجرية . ولكن اللغة الجعزية أصبحت لغة الكتابة في مجالات الأدب والدين، في معظم المناطق الحبشية حتى العصر الحديث، على الرغم من منازعة اللغة الأمهرية لها.

وتشترك اللغة الجعزية في كثير من خصائصها اللغوية على كافة مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية مع أخواتها من اللغات السامية الجنوبية كالعربية واليمينية .

٢- اللغة الأمهرية

وهي لغة الحبشة الرسمية في العصر الحديث، في معظم مناطق الحبشة السامية الأصل اللغوي، وتنتسب هذه اللغة إلى منطقة: أمهرا، وقد اتسع نطاق هذه اللغة سواء في نفوذها في التخاطب بها في مناطق كثيرة أو في الكتابة والآداب وذلك بعد استسلام مملكة: أكسوم. وظهور مملكة أكوا في القرن الثالث عشر الميلادي على أيدي ملوك من الأسرة السليمانية (الأمهرية) وقد استطاعت هذه اللغة أن تنافس اللغة الجعزية في مجالات

الأدب والعلوم والدين في القرن التاسع عشر، فترجمت بها بعض الآثار الجعزية، وأصبحت لغة الثقافة والعلم في مجالات الصحافة والعلم والدين، مما جعل اللغة الجعزية تتضائل إلى جانبها ويتلقص دورها الفكري للحد الذي جعلها لغة مجهولة عند العلماء والمثقفين المعاصرين([1]) ، كما اشتبكت اللغة الأمهرية مع اللهجات الحامية الكوشية في مناطقها الجنوبية، وبسطت نفوذها عليها، وقد تأثرت من ثمة بهذه اللغات في بعض خصائص الأصوات والأبنية اللفظية كأشكال الضمائر، وكذا بعض قواعد الجمع والتأنيث([2]).

٣- اللهجة التيجرينية

تفرعت هذه اللهجة عن اللغة الجعزية في منطقة تيجرينيا ، حيث منطقة أكسوم، وقد استخدمت هذه اللغة في المخاطبة والمشافهة، ولم تستخدم في الكتابة، وقد اهتم بها العلماء في المراحل الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي، وتنتشر هذه اللغة في إرتريا، وتعد اللغة الرسمية لها قبل استيلاء الحبشة عليها، ويتكلم بها عدد كبير من دولة إرتريا بعد استقلالها([3]).

---

(١) انظر: فقه اللغة ٩٢ وفقه اللغات السامية ٣٣ وأسس علم اللغة ١٩٥

(٢) انظر: فقه اللغة ٩٢ وفقه اللغات السامية ٣٣ وأسس علم اللغة ١٩٥

(٣) انظر : فقه اللغة ٩٤

٤- اللهجة التيجرية

تنسب هذه اللهجة إلى المناطق الواقعة إلى الشمال من منطقة تيجرينيا، وعلى الرغم من أنها قريبة الشبه من اللغة الجعزية ، ولكن العلماء يرون أنها غير متفرعة عنها، ولكنها مستمدة من لغة قديمة لم يصل إلى الباحثين من آثارها شيء، وتعدَّ اللغة التيجرية من اللغات القوية المنتشرة في مناطقها ، على أنها لغة منطوقة فحسب، لم تستخدم في الكتابة- كما أنها تغلبت على ألسنة الكثير من البلاد المجاورة لمواقعها، إلا أنها تعدُّ اللغة الثانية لبعض المناطق التي تستعمل اللغة الحامية السودانية، التي تعيش في المنطقة الساحلية امتدادًا من مصوع إلى سواكن إلى جزر دهلك Dahlak ولعل اعتناق السكان في هذه المنطقة للإسلام وتحدثهم بها، هو ما ضمن لهذه اللغة البقاء، وساعدها على مقاومة اللغة الأمهرية التي اتخذها المسيحيون لغة لهم. على الرغم من أنهم أجناس غير مستمدة من الساميين، بل إن أصولها حامية تتكلم قديمًا لهجات كوشية، ومن ثم فقد تأثرت هذه اللغة بكثير من خصائصها الحامية، إلى جانب تأثرها بخصائص اللغة العربية، لغة العقيدة الإسلامية التي اعتنقوها ([1]).

---

(١) انظر: فقه اللغة ٩٤- ٩٥

٥- اللهجات الجوراجية

وتنتسب هذه اللغة إلى منطقة جوراجيا ، الواقعة في جنوب منطقة "كوا" الأمهرية ، وينطق بلهجاتها جماعات مختلفة الديانات، حيث يتكلم بها جماعات إسلامية وأخرى مسيحية وثالثة وثنية، وتعد اللهجة التشاهية في منطقة " تشاها Tchaha" هي أهم لهجاتها، وقد تفرعت اللغة الجوراجية من اللغة الأمهرية، على الرغم من أنها بعدت أصولها وأصبحت لها خصائصها اللغوية (١).

٦- لهجة هرر:

وتنتسب هذه اللهجة إلى مدينة هرر، وهي لهجة متفرعة هي الأخرى عن اللغة الأمهرية، على الرغم من ابتعادها عن هذا الأصل ابتعادًا كبيرًا، كما أنها تأثرت باللغات الحامية، واللغة العربية بعد اعتناق متكلميها للدين الإسلامي، مما جعلها لغة ذات خصائص لغوية مستقلة عن اللغة الأمهرية الأم التي انبثقت عنها(٢).

وقد استخدمت اللغات الحبشية الخط السبئي ، الذي نقلوه من موطنهم الأصلي باليمن. وقد اشتقوا منه رسما خاصا بهم يسمى بالرسم

---

(١) انظر: فقه اللغة ٩٥ وفقه اللغات السامية ٣٤ ، واللغات السامية ١٠٦

(٢) فقه اللغات السامية ٣٤ واللغات السامية ١٠٦ وفقه اللغة ٩٥ وأسس علم اللغة ١٩٦

الحبشي أو الجعزي ، وقد ظهر هذا الخط في حوالي القرن الثالث الميلادي وتشتمل الأبجدية عندهم على ستة وعشرين حرفا صامتا، وليس عندهم رموز للأصوات الصائتة (الحركات) ولكنهم استخدموا رموزًا للحركات فيما بعد، يصل عددها إلى ست حركات بالإضافة إلى حركة سابعة يحرك بها الحرف الصامت، الذي لا ترد فيه الحركات الستة.

ويكتب الرسم الحبشي من اليمين إلى الشمال كما هو الحال في الرسم السبئي ، الذي اشتق منه ، ثم تحول بعد ذلك من الشمال إلى اليمين حتى الوقت الحاضر(١).

(١) انظر: فقه اللغة ٨٩- ٩٠

جدول تخطيط بمواقع
اللغة العربية الفصحى ونقوشها

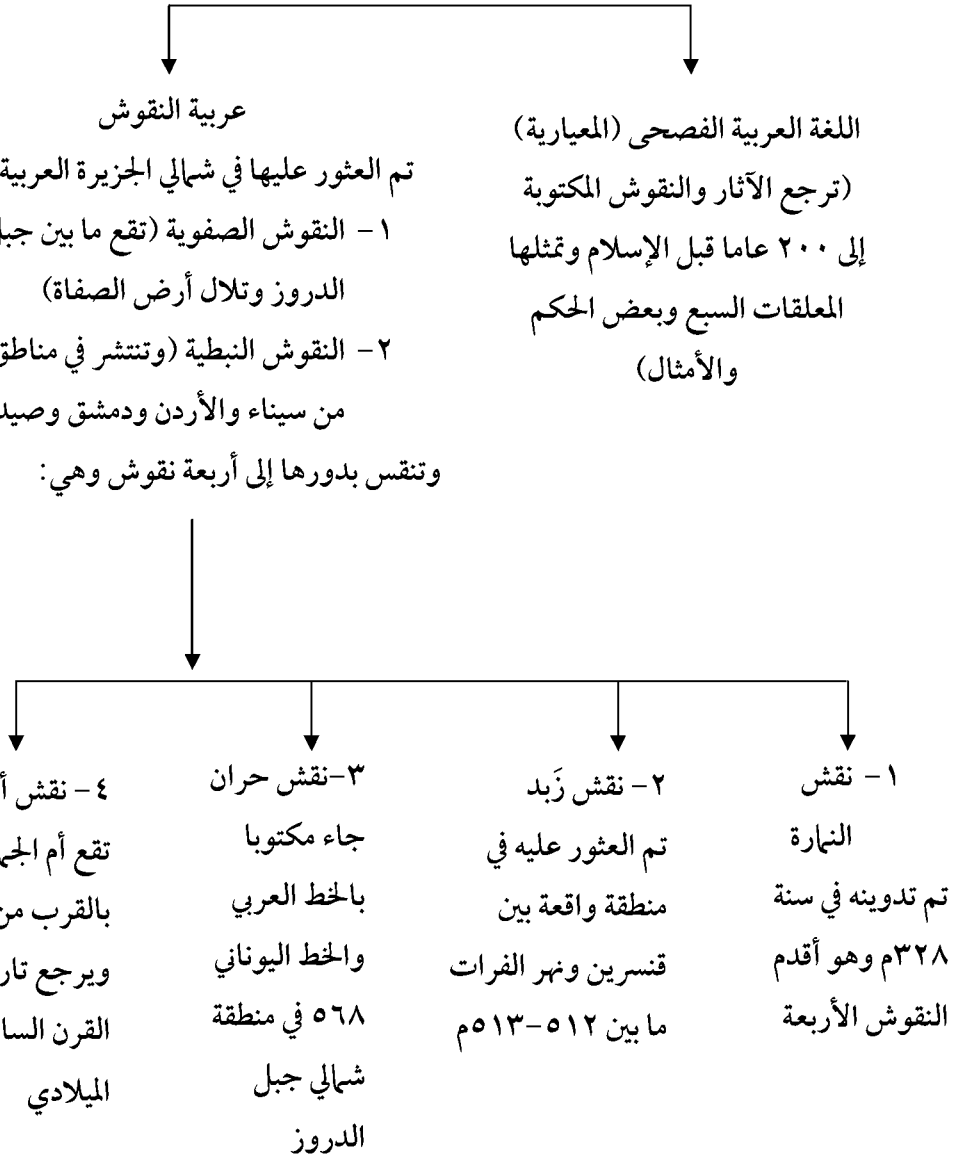

المبحث الرابع

اللغة العربية

تقع اللغة العربية ضمن مجموعة اللغات السامية الغربية الجنوبية، التي تشتمل على اللغات اليمنية واللغات الحبشية. حيث يصفها العلماء بأنها تمثل الشعبة الشمالية بالنسبة إلى أختيها اليمنية في الجنوب والحبشية في إفريقية، وأن علاقات القربى في الخصائص اللغوية فيما بين هذه اللغات الثلاث أو بالأحرى الفروع الثلاثة، أوثق في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، على أن من اللغات اليمنية ما هو أقرب إلى اللغات الحبشية، وأنهما أقرب إلى بعضهما أكثر من قرابتهما مع اللغة العربية وعلى الرغم من أن اللغة العربية قد نشأت في أقدم مواطن الساميين في بلاد الحجاز ونجد وما جاورهما إلا أن الآثار التي وردت إلينا عن تراثها وتاريخها، لا تتجاوز القرن الخامس الميلادي (١) عن حياة اللغة العربية الباقية، وأن أقدم نصوصها في عصورها السحيقة البائدة لا يتجاوز القرن الأول ق . م(٢).

(١) هذه الآثار هي التي يطلق عليها الأدب الجاهلي أو بالأحرى: الشعر الجاهلي ولا تكاد هذه النصوص تتجاوز قرنين من الزمان قبل الدعوة الإسلامية.

(٢) وجدير بالذكر أن اللغات السامية الأخرى، أخوات اللغة العربية، تمتلك آثارا ووثائق ونقوش قديمة جدا، فثمة آثار للغة الأكادية إلى ما قبل القرن العشرين ق . م وآثار للغة العبرية تمتد إلى القرن الثاني عشر ق . م ، وآثار للغة الفينيقية تمتد إلى القرن العاشر ق . م ، وآثار للغة الآرامية تمتد إلى القرن التاسع ق . م .

- **أولاً: عربية النقوش**

عثر المستشرقون على نقوش العربية البائدة في شمالي الجزيرة العربية، وحاولوا قراءتها ، ومعرفة محتوياتها من معلومات، بعد فك رموزها ، ولعل أقدم هذه النقوش، هي التي اشتهرت باسم النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية، نسبة إلى القبائل العربية القديمة: ثمود ولحيان، تلك القبائل، التي استوطنت شمالي الجزيرة العربية، حيث عثر العلماء على نقوش ثمودية في أعالي الحجاز وتيماء ومدائن صالح، التي يطلق عليها : الحِجْر، وكذلك: العلا ، ويطلق عليها : (دَتان القديمة) وشرقي الأردن وشبه جزيرة سيناء([1]). وقد كتبت هذه النقوش بالرموز الصامتة دون الحركات، شأنها في ذلك شأن اللغة الأم وهي الفينقية ، التي اخترعت هذه النظام الإبجدي ، ونذكر نصا من هذه النقوش التي جاءت على النحو الآتي:

ل ت م ي غ ث ب ن ج ش م هـ و ع ل

ويمكن فك رموزه بعد زيادة الحركات الطويلة، فتكون ترجمته كالآتي:

لتيم يغوث بن جشم هو عل

(١) انظر: تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون ١٧٨- ١٨٧ حيث عرض لهذه النقوش الثلاث، وانظر اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، لأحمد حسين شرف الدين ٥٧- ٦٧

وبقلب الهاء الدالة على التعريف إلى أل التعريف، تكون ترجمة النص هي:

الوعل لتيم يغوث بن جشم([1])

(١) النقوش الصفوية:

وتنسب هذه النقوش إلى منطقة الصفاه الواقعة بين جبل الدروز وتلال أرض الصفاه، وأطلق عليها العلماء النقوش الصفوية، لقربها من منطقة الصفاة. وقد اكتشف المستشرقون في هذه المنطقة مجموعة كبيرة من النقوش، وتمكنوا من فك رموزها. وقد جمع المستشرق الألماني إنوليتمان قرابة ١٤٠٠ نقش ، تمكن من دراستها وحل رموز الأبجدية الصفوية، ووضع كتابا لهذه الأبحدية حيث وجد أن الأبجدية الصفوية تشتمل على ثمانية وعشرين حرفًا، كما هو الحال في الأبجدية العربية. كما وقف على بعض الظواهر اللغوية التي تتفق مع العربية في العصر الجاهلي، منها: تسهيل الهمزة وبخاصة في أوائل الكلمات في مثل: ونس في : أنس ، وودم في: أدم، كما هي الحال عند الهذليين في قولهم، وشاح في إشاح، وقولهم: واكل في آكل، كما أنهم يبقون على المثلين دون إدغام في مثل:ظائن، بدلاً من ظان، وتعدُّ اللغة الصفوية أقرب اللغات العربية القديمة إلى اللغة العربية،

(١) انظر: تاريخ اللغات السامية ١٧٨

بل إنها أقرب إلى اللغة العربية من كل من: اللغة الثمودية واللحيانية(١) . ولعل هذا النقش الذي عثر عليه العلماء يؤكد ذلك.

ل ب ر د ب ن ص ل ح ب ن ا ب ج ر وش ت ي

هـ د ر و ذ ب ح ف هـ ل ت س ل م

وترجمته بالعربية كما يلي: لبرد بن أصلح بن أبجر وشتى (بمعنى: أقام في الشتاء) في هذه الدار (والهاء للتعريف) وذبح (ذبيحة) فيا الله السلام(٢). (مع مراعاة أن هذه النقوش لا تشتمل على حروف المد).

وقد تحدث الهمذاني (ت ٣٣٤هـ) عن خصائص تلك الخطوط اللغوية بقوله: "كذلك يكتبون، بحذف الألف إذا وقعت في وسط الحروف، وقفاهم المسلمون في كتابة المصاحف، فطرحوا ألف: الرحمن ، وألف الإنسن، وألف: السموات. وكذلك : (علهن) ، منقوص من (علهان) ، وهفن منقوص من : (هفان)، وهمدن من (همدان) وبنين من (بنيان) وهذا ما تؤديه أحرف الكتاب، فأما اللفظ فعلى التمام، وكذلك يحذفون الواو الساكنة من وسط الحروف، مثل: مبعوث ، والياء الساكنة مثل: شمليل ، والألف الساكنة مثل: هلال ، وبلال، وأميال" (٣).

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٥١ ، وأسس علم اللغة ٢٢٠ وتاريخ اللغات السامية ١٧٩

(٢) انظر: تاريخ اللغات السامية ١٧٩

(٣) الإكليل: للهمداني ١٠/ ١٦

ويؤكد نولدكه أن النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية تمثل لهجة عربية بدليل ما وجده فيها من أصوات أسنانية، والتفريق بين صوتي: العين والغين، وبين صوتي الحاء والخاء، وهو تفريق لا يوجد إلا في اللغة العربية من بين اللغات السامية ، كما يعلق أحد الباحثين على الخط الثمودي بأنها عبارة عن مخربشات من خطوط البادية، قلد فيها أصحابها خط المسند"([1]).

(٢) النقوش النبطية

ثمة نقوش أربعة، هي أقرب إلى اللغة العربية من تلك النقوش السابقة، لم تكتب بالخط المسند السابق، وإنما كتبت بالخط النبطي، الذي ذكر الباحثون أنه يمثل الحلقة الوسطى بين الخط النبطي القديم والخط العربي الذي كتب به الكتبة القرآن الكريم، وكما لوحظ أن هذه النقوش قد جاءت أقل تأثرًا باللغة الآرامية، عن نظيراتها من النقوش السابقة، على الرغم من أن المناطق التي تم فيها اكتشافها ليست بعيدة عن منطقة الصفاة بالقرب من سيناء والأردن ودمشق وصيدا، وقد حفلت هذه النقوش بأسماء ملوكهم وآلهتهم ، وكذا أسماء أشخاص روميين ومصريين وعبريين، وقد جمع إنوليتمان قرابة ٣٠٠ ثلاثمائة اسم في تلك النقوش تتفق مع الأسماء العربية([2]).

---

(١) انظر: لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية ، محاضرة من كتاب : محاضرات التاريخ والآثار ٩٠ ، د/ عبد الرحمن الأنصاري.

(٢) انظر: العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ١١٥-١١٦

وعدد هذه النقوش أربعة وهي: نقش النمارة، ونقش زَبَد، ونقش حَرَّان ، ونقش أم الجِمال.

- **نقش النِّمارة:**

وهو أقدم هذه النقوش الأربعة، حيث تم تدوينه سنة ٣٢٨م، والنِّمارة عبارة عن قصر صغير، كان للروم في الجهة الشرقية من جبل الدروز، وسميت به البلدة التي أنشئ بها، وقد تم اكتشاف هذا النقش في مدافن امرئ القيس بن عمرو بن عدي، وهو أول من تنصر من ملوك الحيرة من آل لخم ([1])، وكان ملكًا على الحيرة، وقد امتد نفوذه إلى بادية الشام، وهو ليس امرأ القيس الشاعر الجاهلي المشهور. وقد اكتشف هذا النقش العالم: ريبه ديسو ([2]).

وأما نصه بالخط العربي فهو كما يلي([3]) :

١- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج.

٢- وملك الأسدين ونزر وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا.

٣- بزجي في جبح نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.

٤- الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٥٢/٢ ، والعرب قبل الإسلام ٢٣٦

(٢) انظر: التاريخ العربي القديم ٤٩

(٣) انظر: النص وترجمته في : تاريخ اللغات السامية ١٦١ وكذا : فقه اللغة ١٠٢-١٠٥ والعصر الجاهلي ٣٧ ، ١١٨ وفصول في فقه العربية ٥٦

٥- اليوم هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول ، فليسعد الذين ولدهم.

(وكسلول هو شهر: كانون الأول).

- **نقش زَبَد:**

وقد جاء هذا النقش مكتوبًا بثلاث لغات وهي: اليونانية والسريانية والعربية، ويعود تاريخه إلى سنة ٥١٢- ٥١٣ ميلادية، وقد تم العثور عليه في منطقة خربة واقعة بين قنسرين ونهر الفرات ، ولم يبق فيه من اللغة العربية إلا ثلاثة أسماء للرجال الذين اجتهدوا في بناء الكنيسة التي وضع فيها النقش، وقراءة نصه غير مؤكدة، بسبب ما أصابه من كسر في أوله، وكذا الغموض في بعض كلماته.

ونصه بالحروف العربية كما يلي ([1]) :

١- (بنصـ) ـــر الإله سرجو بر أمت منفو وهليا بر مر القيس.

٢- وسرجو بر سعدو وسترو وشريحي بتميمي.

والكلمة الأخيرة في هذا النقش، وهي كلمة: (بتميمي) مكتوبة بحروف سريانية.

- **نقش حرّان:**

أما نقش حران فقد جاء مكتوبًا بالخطين: العربي واليوناني، ويرجع تاريخه إلى ما قبل مولد الرسول (ﷺ) بثلاث سنوات، أي في سنة ٥٦٨م، وقد تم اكتشافه في المنطقة التي تقع إلى شمالي جبل الدروز ، ووجد منقوشًا

(١) انظر: النص في تاريخ اللغات السامية ١٩٢ ، وفصول في فقه العربية ٥٧، وما بين القوسين ، كلمات مطموسة في النقش.

على حجر فوق باب إحدى الكنائس في المنطقة، وأما نصه بالحروف العربية، فكما يلي:

١ – أنا شرحيل بر ظلموا بنيت ذا المرطول.

٢ – سنت ٤٦٣ بعد مفسد.

٣ – خيبر.

٤ – بعام.

وترجمته إلى اللغة العربية كما يلي:

"أنا شراحيل بن ظالم ، بنيت هذه الكنيسة، سنة ٤٦٣بعد مفسد خيبر بعام. وقد قام بحل رموز عبارة: "مفسد خيبر بعام" المستشرق أنوليتمان، حيث يعلق بقوله: إن مفسد خيبر، إنما يشير إلى غزوة أحد أمراء بني غسان لخيبر ([1]) .

- **نقش أمّ الجمَال:**

وقد عثر عليه المستشرق : إنوليتمان في سنة ١٩٠٥ في قرية : أم الجمال، وهي قرية عربية مسيحية في الجنوب من : بُصري بالقرب من : عَمَّان" عاصمة الأردن ، وقد تمكن أنوليتمان من فك رموزه مع مجموعة من العلماء في الدراسات السامية، وقد تم نشر هذه الدراسة لهذا النقش في مجلة

(١) انظر: تاريخ اللغات السامية ، لإسرائيل ولفنسون ١٩٢

الساميات، في عام ١٩٢٩م، ويرى إنوليتمان أن هذا النقش يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادي (١).

ومن الملاحظ أن السطر الأخير فيه مطموس أو مكسور.

وأما قراءته باللغة العربية فهي على النحو الآتي:

١ – الله غفرا لأليه.

٢ – بن عبيدة كاتب

٣ – الخبير أعلى بني

٤ – عمري صلو عليه من

٥ – يقرؤه.

ويذكر إنوليتمان أن المقصود بهذا النفس ومعناه هو: "يارب أغفر لأليه بن عبيدة، الكاتب الخبير، أشرف بني عمرو، ادع له أيها القارئ" (٢).

ويعلق د/ رمضان عبد التواب على هذا المعنى لهذا النقش من وجهة نظر إنوليتمان بأنه وإن كان يوافقه في قراءة الأجزاء الأولى من هذا النقش، فإنه لا يوافقه على قراءة الجملة الأخيرة منه، وهي: (صلو عليه من يقرؤه) ويذكر أن قراءة الجملة الأخيرة لعلها تقرأ هكذا: (كله علو من يتفقده)

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٥٨-٥٩ وكذا
Littmann, vorslam alab inschrjt zeitschrjt jur semitistik 11. 253 .

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٥٨- ٥٩

بدلاً من (صلو عليه من يقرؤه) وبذلك يكون معناها "أنه أعلى بني عمرو كلهم كعلو من يتفقده بزيارة قبره" ([1]) ! وأما وجهة نظر "إسرائيل ولفنسون" في هذه النقوش الأربعة ونسبتها إلى العرب والعربية القديمة؛ فيقول: "ولا شك أن أصحاب النقوش الثمودية والصفوية من العرب، أوهم أقواهم لهم اتصال متين بلغة العرب، ولكن العناصر الأعجمية الكثيرة البارزة فيها، شوهتها وحرفتها كثيرا، إلى أن محت منها شيئًا غير قليل من الروح العربية، والأسلوب العربي، حتى إن اللغة العربية تضاءلت، أمام الحضارات الأخرى، البارزة في تلك النقوش" .

وفي تعليقه على نقش النمارة يقول إنه :"آرامى أكثر منه عربيًا، فالاصطلاح " تي نفس" يذكرنا بنقوش النبط وأهل تدمر، التي تعبر عن معنى القبر، بكلمة : نفشو، ثم يقول: "على أننا نعتقد أن كاتب هذا النقش. كان عالمًا باللغة العربية في بلاد الحجاز ، إذ نقش في كتابته جملة عربية فصيحة، صحيحة الذوق في الأسلوب العربي، وهي : فلم يبلغ ملك مبلغه"([2]).

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٥٩

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٨٨

والحق، فإن ملاحظات ولفنسون ،تعد ملاحظات دقيقة، فالبنظر إلى تلك النقوش نجد أنها استخدمت أداة التعريف كماهي الحال في العبرية وهي: الهاء والنون، مع مراعاة ما طرأ بعد ذلك على النون من إدغام في الحروف بعدها، فيما عدا حروف الحلق والراء لأنها لا تقبل الإدغام بدلاً من استعمالها أداة التعريف العربية وهي : ال . وهذا ما لوحظ على أداة التعريف في هذه النقوش. كما استعملت كلمة: بر، التي تعني: ابن باللغة الآرامية، كما وردت كلمات غير شائعة في العربية ومنها كلمة: مرطول؛ بمعنى الكنيسة، ولم يرد ذكرها في المعاجم العربية.

ويبدو مما ذكرناه أن هذه النقوش ليست عربية خالصة، ولعل ما جعل المستشرقين ينسبونها إلى العربية القديمة، ما وجدوه من بعض خصائص اللغة العربية ، وبخاصة في بعض الأصوات التي شاعت في اللغة العربية دون سواها من اللغات السامية الأخرى مثل: شيوع الأصوات الأسنانية (الثاء والذال والظاء) وكذلك صوت الضاد، والتفريق بين صوتي العين والغين، وصوتي الحاء الخاء ([1]).

كما لوحظ أن هذه النقوش قد اشتملت على ظاهرة الإعراب، التي لا توجد إلا في اللغة الأكادية، حيث عثر المستشرقون على رموز للحركات

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٥٩ – ٦٠

الطويلة فيها وذلك في مثل: وهب مذحجو ، في نقش النمارة، وعبارة: أعلى بني عمرو، في نقش أم الجَمال ([1]).

كما ورد بهذه النقوش – أيضًا- صيغة: أفعل التفضيل ، وهي تعدُّ من خصائص اللغة العربية حيث تستخدم اللغات السامية صيغة الوصف الأصلي، مع زيادة كلمة: من أو على كما هي الحال في اللغة العبرية ([2]).

وإذا كان المستشرق الألماني: شبيتالر A,spitaler يذكر في مقال له عن اللغة العربية قائلاً: "إنه على الرغم من وجود النقوش المتعددة، فإن قراءتها في كثير من الأحوال غير مؤكدة ، ونتائجها عديمة الجدوى، لأن مادتها اللغوية، على جانب كبير من الضآلة" ([3]).

فإن الدكتور / إبراهيم أنيس لا يختلف في وجهه نظره عن ذلك حيث يقول : "وحين نسلم جدلاً بأن لغة هذه النقوش، تمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية، يجب أن نعرف أن نصوصها ضحلة، لا تقنع الباحث؛ لتلقي ضوءًا كاشفًا على حال اللغة العربية في تلك العهود، فهي في مجموعها لا تكاد تعادل سفرًا صغيرًا من أسفار العهد القديم، هذا إلى أن كثيرًا من كلماتها عبارة عن أعلام لأشخاص، ولا تكاد تجدي مثل هذه الأعلام في البحث اللغوي؛ وفوق هذا وذلك تعرض هذه النقوش لأمور متشابهة –

---

(١)انظر: نقش النمارة وأم الجمال ٥٦ ، ٥٩ من هذا الكتاب.
(٢)انظر: نقش النمارة وأم الجمال ٥٦ ، ٥٩ من هذا الكتاب.
(٣)انظر: فصول في فقه العربية ٦١

كتسجيل تاريخ كنيسية أو قبر، مما جعل كثيرًا من عباراتها وألفاظها يتكرر، ويجعل نصوصها قليلة العدد ، لا تكفي في بحث لغوي جدِّي"(١) .

وكذا يتفق الدكتور / رمضان عبد التواب مع الدكتور/ إبراهيم أنيس من جهة، وشبيتالر من جهة أخرى ، ويقول بأن "النقوش غير كافية إذن ، لمعرفة طفولة اللغة العربية، فإذا قورنت هذه النقوش بالنقوش الأكادية أو بالنصوص العبرية القديمة مثلا، وجدنا أنها كالقطرة في البحر، ونحن حين نريد أن نحكم حكمًا نطمئن إليه، لابد من أن تكون أمامنا نصوص كثيرة متنوعة" (٢).

وبعد .. فإن ثمة سؤالاً يتبادر إلى الذهن حول ما إذا كانت اللغة العربية لم تكن تملك تراثًا فكريًا مكتوبًا ومنقوشًا، وأنها أمة لم تكن تهتم بالكتابة، حتى لا نعثر حتى الآن على نص وحيد منقوش يشتمل على مادة لغوية ثرية تمثل اللغة العربية في عهدها القديم. ويجيب عن هذا السؤال إسرائيل ولفنسون بقوله: "ومن حيث إننا لم نعثر إلى الآن على النقوش، في مراكز بلاد الحجاز الأصلية: مثل الطائف ومكة ويثرب، فإننا أمام أمرين إما أن نحتمل أن العرب لم يتركوا آثارًا منقوشة قبل ظهور الإسلام، وإما أن أوان كشف هذه الآثار لم يئن بعد. أما الأمر الأول فغير محتمل، حسب

(١) فصول في فقه العربية ٦٢
(٢) فصول في فقه العربية ٦٢

رأينا، إذ لا يعقل أن العرب في مكة ويثرب، لم يكونوا يستعملون الكتابة، في عصر ظهور الإسلام، ولدينا روايات تاريخية يقينية، عن وجود كتَّاب، كانوا قد مارسوا فن الكتابة في ذلك العهد، لذلك يحتمل أن تكون هناك بعض نقوش، على الأحجار والصخور ، أو كتابات على الرِّق لم تكتشف بعد، والمستقبل كفيل بحل أحد هذين الاحتمالين"([1]).

(١) تاريخ اللغات السامية ١٩٤

الفصل الثاني

نشأة اللغات السامية

اختلفت آراء العلماء وتنوعت مذاهبهم حول تحديد الموطن الأصلي للغات السامية من جهة، والساميين القدماء من جهة أخرى، ويمكن حصر هذه الآراء والمذاهب في أربعة رئيسية، تمثل أهم ما تقدم به العلماء في هذا المجال ، وهذه المذاهب هي:

١-المذهب الأفريقي.

٢-المذهب الأرميني.

٣-المذهب البابلي.

٤-المذهب العربي.

ونقدم فيما يلي تفصيلات هذه المذاهب، وآراء العلماء حول وجاهة أحدها على الآخر في القول بنشأة اللغات السامية.

المبحث الأول

آراء العلماء ومذاهبهم حول نشأة اللغات السامية

١- المذهب الإفريقي:

ويرجع هذا المذهب إلى صاحبه ، المستشرق الألماني : نولدكه، حيث يجعل من علاقة القربى بين اللغات الحامية والسامية أساسًا لمذهبه، إذ يقول: "والقرابة الكائنة بين اللغتين : السامية والحامية ، تدعو إلى الاعتقاد أن الموطن الأصلي للساميين ، كان في إفريقيا لأنه في النادر أن يظن أن الحاميين، كان لهم موطن أصلي، غير القارة السوداء" (١).

ويؤسس نولدكه مذهبه على افتراض ، ذكر بأنه لا يمكن التأكيد معه بأن مذهبه هذا يمثل نظرية ثابتة (٢) ، ولكنه يقول في التشابه الخلقي بين الجنسين: السامي والحامي، وبخاصة سكان جنوبي الجزيرة العربية "إن عضلة الساق في الأقوام السامية هزيلة، تمامًا كما هو الحال في سكان إفريقيا الأصليين" (٣).

ولكن هذا المذهب يواجه بأدلة تاريخية تنقضه، وتؤكد عدم صحيته، بالسؤال عن كيفية اختفاء اللغات السامية من إفريقيا "كيف اختفت من

(١) اللغات السامية ٢١
(٢) اللغات السامية ٢١
(٣) اللغات السامية ٢١

إفريقية إذن، جميع اللغات السامية بحيث لا تعود إلى الظهور ، إلا في المستعمرات الفينيقية على الساحل، لا سيما المستعمرة البونية في قرطاجنة بتونس، ثم مع الفتح العربي، في القرن السابع الميلادي" ([1]).

ومن ثم ، فإن هذا المذهب، ليس له ما يؤكده من أدلة علمية، ووثائق مادية، تدعم فرضيته، ومن ثم يبقى هذا المذهب مجرد افتراض كما صرح بذلك صاحبه.

٢- المذهب الأرميني:

ويرى هذا المذهب المستشرق الفرنسي / أرنست رينان، وبعض المفكرين الآخرين، الذي يرون أن الساميين "قد وفدوا من أماكن معينة، من شعوب آرمينية ، وهذا الرأي مستمد من سفر التكوين (١٠/ ٢٢ – ٢٤، ١١/ ١٢) الذي يعزو كثيرًا من هذه الشعوب إلى (أرفكشاد) وهي تقع على حدود أرمينيا وكردستان .

وكما أورد نولدكه ، بأن هذا الرأي أو المذهب ، قد اعتمد على ما ورد في سفر التكوين، حول الموقع الذي رست منه سفينة نوح بعد زوال الطوفان – وأن هذا الموقع كان قريبًا من أرفكشاد !!" (سفر التكوين ٨/ ٤).

ولعل هذا الرأي ، على هذا النحو، لا يعدُّ مذهبًا صحيحًا للقول بموطن الأمم السامية الأولى، وأن ثمة خللاً فيه "والخلل في هذه الفكرة ، يأتي من أنه لو سلمنا بها جدلاً، ودون مناقشة؛ فإنه يترتب على ذلك أن

---

(١) الساميون ولغاتهم ٩

تكون مرتفعات كردستان، مهدًا للإنسانية كلها، لا للساميين وحدهم،فقد نزل من السفينة في هذا المكان المفترض: نوح وأبناؤه الثلاثة: سام وحام ويافث"([1]).

وعلى الرغم من أن هذا النقد السابق لهذا المذهب، يحمل في طياته بعض نقاط الضعف، التي تؤكد غرق أحد أبناء نوح عندما آوى إلى جبل يعصمه من الغرق، ولكنه حل به من العقاب الإلهي ما حل بالكافرين بدعوة أبيه جميعًا ، وكان من المغرقين!! وترجح الآراء أن ولده العاق، هو : حام!

ويذكر نولدكه في تعقيبه على هذا المذهب، واعتماده على ما ورد في سفر التكوين، أن مؤلفه لم يستند إلى أدلة علمية يقينية، بل اعتمد على أقوال الرواة والقصاصين، إذا يقول: "وهو رأي خيالي تمامًا، هذا إلى أنه يتعارض تمامًا مع رأي آخر في سفر التكوين (١١/ ١) يرجع إلى مصادر أخرى، ويذكر أن كل الشعوب، ومن بينها الساميون أيضًا، قد انحدروا من بابل"([2]).

٣- المذهب البابلي:

ويقول بهذا المذهب كل من المستشرق : "جويدي" والمستشرق: "هومل" وغيرهما من العلماء ، حيث ذكر جويدي في مقالته المنشورة سنة ١٨٧٨ – ١٨٧٩م بروما أن : الوطن الأصلي للساميين، يقع أسفل الفرات،

---

(١) اللغات السامية ٢٢

(٢) اللغات السامية ٢٢

وهو يريد أن يثبت أن المفاهيم الجغرافية والنباتية والحيوانية، التي عُبر في كل لغة من اللغات السامية بكلمات موحدة قديمة، هذه المفاهيم . لا تشير إلا في الظروف الطبيعية، لتلك المنطقة" . حيث لاحظ جويدي أن كلمة: هرّ، توجد بلفظها هذا على وجه التقريب في جميع اللغات السامية، ولكن كلمة الجبل تختلف في لفظها في جميع اللغات السامية([1]).

وبعد مقارنة بين كثير من الألفاظ الدالة على أسماء المعادن والنباتات والحيوانات والأحداث المناخية وتقلبات الجو، والتغييرات الجيولوجية، توصل إلى أن قدرًا من هذه الألفاظ، تشبه مثيلاتها في اللغة الأكادية، ومن ثمة فهو يرى بأن سهول العراق، هي الموطن الأصلي للساميين ([2]). لكن مجموعة أخرى من الألفاظ ليست بالقليلة، قد اشترك فيها الساميون الشماليون والجنوبيون ، لا يمكن الجزم بأنها مما نشأت في منطقة الفرات على حد قول نولدكه ([3]).

٤- المذهب العربي:

حيث يذهب عدد من المستشرقين إلى القول بهذا المذهب، ومنهم: "شبرنْجر" و "دي غويه" و"كايتاني" و"موسكاتي" وآخرون غيرهم، فهؤلاء العلماء يرون أن الجزيرة العربية ، هي الموطن الأول للساميين ، ويؤكدون رأيهم بمجموعة من الأدلة، التي تحمل قطعيتها وثبوتها، ومن أهم هذه الأدلة ما يلي :

---

(١) اللغات السامية ٢٥

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٤٠

(٣) انظر: اللغات السامية ٢٥

١- ما يؤكده التاريخ بأن الأقوام الساميين، الذين عاشوا في غير الجزيرة العربية ، قد عادوا إليها مغيرين أو مهاجرين، حيث "لوحظ في العصور التاريخية، كيف أن بلاد الحضارة ، فيما بين النهرين وسوريا، كانت تكتسحها دائمًا وأبدًا، موجات من القبائل البدوية، القادمة من الصحراء العربية، حتى غمرت أخيرًا، إحدى هذه الموجات القوية، وهي المسماة بالموجة العربية ، في كل من صدر آسيا وشمالي إفريقيا"(١) . كما يؤكد موسكاتي أن تحركات الساميين منذ القدم، كانت واحدة حيث يقول: "كل الدلائل تشير إلى أنهم خرجوا من الجزيرة العربية، إلى ما جاورها من البلاد، وبعبارة أخرى : من الصحراء القاحلة، إلى أرض الحضارة المحيطة بها، ولذلك جاز لنا أن نبحث في الجزيرة وصحرائها، عن الموطن الأصلي للشعوب السامية"(٢).

٢- لقد كانت المواطن التي أقام فيها الساميون، منذ فجر التاريخ، مسكونة بشعوب أخرى قبلهم من غير الساميين ، فيما عدا الجزيرة العربية. فلم تذكر المصادر التاريخية، أن الأكاديين كانوا السكان الأصليين لبلاد الرافدين ، بل إنها تؤكد أن الأكاديين أقوام أجانب، وفدوا عليها ، وأن أقوامًا أخرى، وهم السوماريون، كانوا سكان بلاد الرافدين الأصليين، ولعل النقش

---

(١) فقه اللغات السامية ١٢

(2) Moscati : Die altscmitischen Kulturren, 14

الذي كتب عليه أن الملك سرجون الأول (في حوالي سنة ٢٦٠٠ ق.م) هو وعشيرته قد نزحوا إلى العراق، من شرقي جزيرة العرب، يؤكد ذلك([1]) .

٣- ما عثر عليه العلماء من نقوش باللغة السومرية، تفيد أن بلادهم، كانت دائمًا مهددة من خطورة إغارات القبائل المسماة : "أريبو" كانت تأتيهم من الجهات الغربية أو الجنوبية الغربية ([2]).

٤ - تؤكد الأحداث التاريخية والسياسية أن سكان الصحاري والبادية والجبال ونحوها، يتطلعون إلى الإقامة في البلاد الخصبة والتحضر، حيث الزرع والضرع والمياه، مما يدعوهم إلى الإغارة على البلاد المجاورة والتحكم في ممالكها والسيطرة على كياناتها، وليس العكس فلم تؤكد المصادر التاريخية طموح أهل الحضر والمدنية، في الحياة البادية وشظف العيش ([3]).

ويؤكد موسكاتي ذلك بأن طموح سكان البادية في تغيير مسار حياتهم، وغزوهم الدائم على الحضر وممالكهم إنما "يتفق تمامًا مع القوانين الاجتماعية والاقتصادية، فظروف الحياة القاسية في الصحراء، هي التي تجعل البدو القاطنين فيها يتطلعون إلى الحياة المستقرة في البلاد المجاورة المتحضرة... ويحدث ذلك أمام أعيننا اليوم، كما حدث في الماضي، لأن الحياة

---

(١) انظر: الساميون ولغاتهم ١٠

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٤١

(٣) انظر: فصول في فقه العربية ٤١-٤٢

في الصحراء ، لم تتغير اليوم تغيرًا جوهريًا عما كانت عليه قبل خمسة آلاف سنة([1]).

٥- يتمتع جميع الأعراب البدو؛ الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأمم والأجناس البشرية الأخرى، بمميزاتهم وخصائصهم الخلقية والخُلقية التي تمثل الجنس السامي، ويرى كثير من اللغويين من أمثال: بروكلمان ورايت ونولدكه وغيرهم، أن لغتهم هي أقرب اللغات إلى السامية الأم ([2]). وتعد من ثم هذه النظرية، هي النظرية الأكثر شيوعًا في العصر الحديث، حيث يقول بها فريق كبير من العلماء ، ويرون أن الجزيرة العربية ، هي الموطن الأصلي لجميع الساميين ثم انطلقوا منها فيما بعد عبر فترات التاريخ إلى الشمال والشرق والجنوب وما إلى ذلك. حيث تؤكد الأدلة التي عثر عليها العلماء أن الساميين الأوائل، قد توجهوا من جزيرة العرب، في أزمان سحيقة إلى جنوب العراق وغربها وغزوا ممالك السومرين ، وتغلبوا عليهم ، وأقاموا دولتهم العظيمة في بابل، وكانت بابل هي عاصمتهم الزاهرة، ويرجح العلماء أن تلك الهجرات أو بالأحرى الغزوات قد تمت في حوالي القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد. كما يرجح العلماء أن الساميين قد هاجروا

---

(1) Moscati : Die altsemitischen Kulturren, 14

(٢)انظر فقه اللغة ١١-١٤ .

أو أغاروا إلى الشمال، حيث بلاد الشام وما حولها في القرن السادس والعشرين قبل الميلاد، وأنهم كونوا أممًا وشعوبًا، يطلق عليها الكنعانيون، وأن بعض هذه القبائل المهاجرة من جنوب الجزيرة العربية قد استوطنت شمال الجزيرة العربية في منطقة ثمود فيما يعرف بالقبائل الثمودية، تلك القبائل التي تركت آثارًا من نقوشها يطلق عليها النقوش الثمودية، التي أسلفنا الحديث عنها، وأنها تمثل مع أخواتها من النقوش الصفوية واللحيانية وغيرها اللغة القديمة، أو ما يسميها العلماء: عربية النقوش.

وقد هاجرت قبائل من هذه القبائل التي توجه بعضها إلى الشام وبقى بعضها الآخر في شمال الجزيرة في هجرة تالية إلى العراق، حيث أكملوا الاستيلاء على الجزء الشمالي في العراق، في حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد، حيث أسسوا مملكة عظيمة يطلق عليها العلماء: المملكة الأكادية (الآشورية) ويعد حمورابي هو أشهر ملوكها ([1]).

كما يذكر العلماء أن قبائل أخرى سامية، من تلك القبائل التي استوطنت بلاد الحجاز، وهم نسل إسماعيل عليه السلام قد هاجروا إلى الشمال، في حوالي القرن السادس قبل الميلاد، ومن هذه القبائل بنوقيدار، الذين رحلوا إلى يثرب (المدينة المنورة) قادمين من الحجاز، ثم رحلوا إلى مدائن صالح، وواصلوا سيرتهم وهجرتهم إلى الشمال حيث خليج العقبة،

---

(١)انظر فقه اللغة ١٢

ثم توجهوا إلى وادي موسى في سيناء، حيث أقاموا هناك، واستقر بهم المقام([1]).

أما بنو ثابت، وهم قبائل الأنباط، الذين رحلوا مع إخوانهم: بنوقيدار من الحجاز إلى الشمال أيضًا، ولكنهم أقاموا في منطقة خليج العقبة، وكونوا مملكتهم المعروفة بالأنباط، وينسب إليهم الخط النبطي .

كما تذكر المصادر التاريخية أن قبائل: معد التي كانت تقيم في بلاد الحجاز، قد هاجرت إلى الشام في أوائل القرون الميلادية ، وأن بعض القبائل القحطانية ، التي كانت تقيم في بلاد اليمن، وهاجرت إلى بلاد الحجاز والشام والعراق، حيث نزلت قبائل خزاعة بمكة المكرمة ونزلت قبيلة الأوس والخزرج بيثرب (المدينة المنورة) وهم الذين فتحوا بلادهم للرسول محمد (ﷺ) واستقبلوه بالحفاوة والترحاب مهاجرًا إليهم من مكة المكرمة، وهم الذين يطلق عليهم الأنصار، كما نزلت قبيلة غسان بالشام ونزلت قبيلة لخم بالعراق ([2]).

وكما أسلفنا فإن الباحثين والدارسين يؤكدون أن أول هجرة سامية إلى بلاد الحبشة، كانت من بلاد اليمن، ومن ثمة فإن جميع أصول الشعوب السامية ، كانت في بلاد الجزيرة العربية، سواء من بلاد نجد أو الحجاز أو اليمن وغيرها من مناطق تلك الجزيرة العربية.

---

(١) انظر: فقه اللغة ١٢

(٢) انظر: تفصيلات تلك الهجرات في اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ، لمحب الدين الخطيب، وفقه اللغة ١٢-١٣ ، وعلم اللغة ٢٧١ ، ٢٧٣

ويذكر بروكلمان تأكيدًا لوجهة النظر السالفة الذكر، بما ذهب إليه "كيتاني دوتيانو" من أن مناطق الجزيرة العربية ، كانت في عصور ما قبل التاريخ ، كثيفة السكان ، خصبة الأرض ، موفورة الخيرات، وأن أنهارًا ثلاثة كبيرة على الأقل، كانت تخترق تلك الجزيرة، وأن العوامل المناخية الطارئة، والظواهر البحرية التي أدت إلى انحسار جبال الثلج الكبيرة في الشمال، قد أثرت تأثيرًا سلبيًا على خصوبة تلك المناطق وأدى جفاف أنهارها إلى انتشار تلك الموجات من الهجرات إلى الشمال والغرب والجنوب، على النحو الذي أسلفناه وأن هذه النظرية تؤكدها البحوث الجيولوجية في تلك المناطق، كما تؤكدها صور الأقمار الصناعية من الفضاء، في أحدث ما توصلت إليه الدراسات العلمية الموثقة بالأدلة العلمية القاطعة([1]).

(١) انظر: تفصيلات ذلك في : فقه اللغات السامية، وفقه اللغة ١٣-١٤

المبحث الثاني

مدى إحاطة العلماء العرب القدامى باللغات السامية

لقد كان بعض العلماء العرب القدامي على دراية باللغات السامية ومعرفة بها ولم يكن الأمر مقصورًا على مجرد هذه المعرفة، بل إن بعضهم كان يعرف العلاقة بين هذه اللغات واللغة العربية، لكن العلماء العرب القدامى، لم يشاءوا أن يقوموا بعمل الدراسات اللغوية المقارنة، التي كان توظيفها في حالة قيامهم بها، سيعود بالفائدة العلمية المرجوة، لكل من اللغة العربية وتلك اللغات السامية، ولكانت كثير من الظواهر والقضايا اللغوية، التي حكموا عليها أحكامًا غير علمية، سواء باللجوء في حكمهم عليها إلى التأويلات والافتراضات المنطقية والتاريخية، أو بالحكم عليها بالشذوذ وعدم الاطراد، أو غير ذلك من الأحكام التي تشيع في مؤلفاتهم النحوية واللغوية.

ويُعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) من العلماء العرب المرموقين الذين أدركوا تلك العلاقة في معجمه الشهير: العين، في قوله: "وكنعان بن سام بن نوح، ينسب إليه الكنعانيون وكانوا يتكلمون لغة تضارع العربية"(١).

(١) العين ١/ ٢٣٢

أما **أبو عبيد القاسم بن سلام** (**ت ٢٢٤هـ**) فكان على دراية باللغة السريانية، وأن أداة التعريف فيها هي فتحة طويلة تقع في أواخر الكلمات بها، وقد ذكر ذلك أبو حاتم الرازي في قوله: "قال أبو عبيد القاسم بن سلام: للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم تعلمه، إدخال الألف واللام في أول الاسم، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه، في الرفع والنصب والخفض، كما أدخلوا في : (الطوُّر) وحذفوا الألف التي في الآخر، فألزموه الإعراب في كل وجه، وهو بالسريانية : (طُورا) على حال واحد، في الرفع والنصب والخفض، وكذلك (اليم) وهو بالسريانية، (يّما) فأدخلت العرب فيه الألف واللام، وصرفته في جميع الإعراب، على ما وصفت"(١).

ونصل إلى القرن الخامس الهجري، وننتقل إلى بلاد الأندلس في أوربا الإسلامية آنذاك، فنجد عَلَمًا آخر من الأعلام العرب المشهورين: **ابن حزم الأندلسي** (**ت ٤٥٦هـ**) الذي أدرك علاقة القربى بين اللغة العربية وكل من اللغة العبرية، واللغة السريانية، إذ يقول: "إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا، أن السريانية والعبرانية والعربية، التي هي لغة مُضَر وربيعة، لا لغة حمير، واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرس، كالذي يحدث من الأندلسي ، ومن الخراساني، إذا رام نغمتها، ونحن نجد من سمع

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١/ ٧٧

لغة أهل (فحص البَلُّوط) وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد يقول: إنها لغة أخرى، غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد ، فإنه بمجاورة أهل البلدة لأمة أخرى، تتبدل لغتها تبدلاً لا يخفي على من تأمله، ونحن نجد العامةد قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلاً ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة، كلغة أخرى ولا فرق ، فنجدهم يقولون في :" (العنب): العينب)، وفي (السوط) (اسْطوط) وفي (ثلاثة دنانير): (ثلثدً) وإذا تعرب البربري، فأراد أن يقول: (الشجرة) قال: (السجرة) وإذا تعرب الجليقي، أبدل من العين والحاء: هاء ؛ فيقول: (مهمدًا) إذا أراد أن يقول: (محمدًا) ومثل هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية، أيقن أن اختلافها ، إنما هو من نحو ما ذكرناه من تبديل ألفاظ الناس، على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل"([1]).

وكذلك أدرك **الإمام السهيلي** (**ت ٥٨١هـ**) هذه العلاقة من الفرق بين اللغة العربية واللغة السريانية في قوله: (وكثيرًا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي ، أو يقاربه في اللفظ) ([2]).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٣٠

(٢) التعريف والإعلام ١١

أما **صاحب البحر المحيط أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ)** فإنه كان على دراية باللغة الحبشية وألف فيها كتابًا بعنوان : جلاء الغبش عن لسان الحبش، وقد ذكر ذلك في تفسيره : البحر المحيط حيث يقول: "وأما قولهم: هندي وهندكي، في معنى واحد، وهو المنسوب إلى الهند... فخرجه أصحابنا على أن الكاف ليست زائدة ، لأنه لم تثبت زيادتها في موضع من المواضع، فيحمل هذا عليه، وإنما هو من باب: سِبْط وسِبْطر، والذي أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب – إن كان تكلم به – فإنما سرى إليه من لغة الحبش، لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم، في لغة بعض، والحبشة إذا نسبت ، ألحقت آخر ما تنسب إليه كافًا مكسورة مشوبة بعدها ياء؛ يقولون في النسب إلى الفرس : الفرسكي، وربما أبدلت تاء مكسورة ، قالوا في النسب إلى: جَبر، جَبرتي، وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش، في كتابنا المترجم عن هذه اللغة المسمى، بجلاء الغبش عن لسان الحبش. وكثيرًا ما تتوافق اللغتان: لغة العرب ، ولغة الحبش، في ألفاظ وفي قواعد من التراكيب نحوية، كحروف المضارعة، وتاء التأنيث وهمزة التعدية"(١).

لقد كان إدراك العلماء العرب القدامى للعلاقة فيما بين اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية التي ذكروها، على هذا النحو، الذي أسلفناه ،

---

(١) البحر المحيط ٤/ ١٦٢ – ١٦٣

دليلاً على معرفة هؤلاء العلماء ليس بمجرد إدراك هذه العلاقة فحسب، وإنما معرفة بعض الخصائص اللغوية في مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وتقديم بعضهم للقواعد والقوانين التي أسهمت في ابتعاد بعض هذه اللغات عن أرومتها الأصلية التي تنتسب إليها، أو قربت فيما بينها.

المبحث الثالث

خصائص اللغات السامية وأهميتها في دراسة اللغة العربية

أولاً: خصائص اللغات السامية

جدير بالذكر أن فصيلة اللغات السامية، هي من أهم الفصائل اللغوية العالمية، وأن العلماء يضمون إليها- دائمًا- فصيلة أخرى قريبة منها، ألا وهي فصيلة اللغات الحامية، في فصيلة كبرى واحدة يطلقون عليها: فصيلة اللغات السامية الحامية، إلى جانب الفصيلة الأكبر في اللغات الإنسانية ، وهي فصيلة اللغات الهندروأوربية.

ونحن نعني هنا بالحديث عن خصائص تلك الفصيلة التي تنتسب إليها اللغة العربية ، ألا وهي فصيلة اللغات السامية، وأن هذه الفصيلة إنما تشكلت على هذا النحو ، وكونت مجموعة من اللغات، التي تشابهت أو بالأخرى اتفقت في مجموعة من الخصائص اللغوية، التي أهلتها، لتكوين فصيلة لغوية ذات خصائص موحدة، وقد وقف العلماء المعنيون بالدراسات السامية من جهة ، والبحوث المقارنة من جهة أخرى على مجموعة من الخصائص العامة لهذه اللغات ، نذكرها على الوجه الآتي([1]):

(١) انظر البحر المحيط: ٤/ ١٦٢ – ١٦٣

١ - **اعتمادها على الأصوات الصامتة** اعتمادًا كبيرًا، في الدلالة على المعاني الرئيسية في أذهان متكلميها، وتقلص دور الحركات لدرجة أنها لا تعبر في الكلمات إلا على تعديلات وتحويلات للمعنى الرئيسي ففي الكلمات الآتية: ضَرَبَ وضُرب، ضَرْبٌ... إلخ، فإن المعنى الرئيسي فيها جميعًا مأخوذ من أصولها الصامتة الثلاث: الضاد والراء والباء.

كما أن المشتقات التي يتم اشتقاقها في الكلمات العربية، مأخوذة أو مشتقة من أصولها الصامتة ثم تأتي الحركات بأنواعها ، لتغير هذه الدلالة الأصلية، إلى دلالات أخرى مشتقة، ففي مثل قولنا: قاتل، مقتول، انقتل، أقتل، استقتل وغيرها، فإن معناها الأصلي مأخوذ من الأصل الثلاثي للأصوات الصامتة: القاف والتاء واللام.

ويأتي دور الفعل في اللغات السامية في المقام الأول، حيث يتميز بعدد كبير من الأوزان المزيدة، التي تعبر عن معان مشتقة من المعنى الأساسي، وتصاغ بتغير الجذر تغييرات ثابتة، للتعبير عن شدة الفعل أو تكراره، وعن السببية أو المطاوعة ، والمشاركة في الفعل، والبناء للمجهول وغير ذلك ([1]).

([1]) انظر أبنية الفعل في اللغات السامية وكذا: فصول في فقه العربية ٤٥

٢ - **شيوع الأصوات الحلقية** في اللغات السامية، كالعين والحاء والأصوات الحنجرية كالهاء، وكذا الأصوات المفخمة كالصاد والطاء ([1]).

٣ - **اهتمام اللغات السامية بالأحداث** التي تدل عليها الصيغ الفعلية، على حساب الدلالة الزمانية لها، وهي : الزمن الماضي والمضارع والمستقبل ، فالتركيز في هذه الأفعال على الحدث الذي مضي وانتهى أو على الحدث الذي لم ينته بعد. ولعل هذا هو الذي جعل العربية تركز على صيغتي : الماضي، للحدث الذي انتهى، والمضارع للحدث الذي لم ينته، ومن ثم فإن هذا الفعل المضارع يصلح عندهم للحال أو للاستقبال، وثمة أدوات في اللغة العربية تجعل الأفعال مستقبلة خالصة مثل : السين وسوف وكذلك: لن، وثمة أدوات أخرى تجعل المضارع ماضيًا في مثل الأداة: لم ([2]).

٤ - **ندرة التركيب في كلمات اللغات السامية**، سواء أكانت الكلمات أفعالاً أو أسماء، كما هو في شيوعها في اللغات الهند وأوربية، فالفعل describe بمعنى : وصف ، قد تم تركيبه من : de + scribe في

---

(١) انظر: اللغة العبرية ١٢٠ - ١٣٢ وكذا فصول في فقه العربية ٤٦

(٢) انظر : فصول في فقه العربية ٤٦

اللغة الإنجليزية، والاسم: circumstance بمعنى: حالة ، قد تم تركيبه من (circum + stance) في اللغة الإنجليزية ([1]).

ويمكن أن نقول إن التركيب الإضافي في اللغة العربية ، وفي اللغات السامية الأخرى، والارتباط الوثيق بينهما، هو من قبيل التركيب ، بحيث إنهما يبدوان أو بالأحرى يكونان كلمة واحدة ، وقد شاعت هذه الظاهرة بين أجزاء التراكيب الإضافية بحيث تصير كلمة واحدة ([2])، في استعمالات اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ففي مثل: رأس مالٍ تحولت إلى رسمال ، وكذا : ماءُ ورد، تحولت إلى: ماورد. وثمة أمثلة من التراث اللغوي العربي القديم، في مثل قول العرب: حَبَقر ، للبرد التي تركبت من: حَبٌّ + قُرَّ ([3])

ثانيًا : أهميتها في الدراسة اللغوية العربية

ثمة فوائد لغوية، يمكن الحصول عليها من إحاطة الباحثين والدارسين باللغات السامية ، عند دراستهم للغة العربية ومستوياتها وفروعها المختلفة، إن مقارنة بين اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية، تمكننا من الوقوف على كثير من الأحكام اللغوية التي لم يكن الكشف عنها أو التوصل إليها أمرًا ممكنًا أو متاحًا، بدون هذه المقارنات،

---

(١) انظر: دراسات في فقه اللغة العربية ١٢ وكذا : فصول في فقه العربية ٤٦

(٢) انظر: دراسات في فقه العربية ١٢ وكذا : فصول في فقه العربية ٤٦

(٣) انظر: فقه اللغات السامية ١٤-١٥ واللغات السامية ١٠

وقد أفاد المستشرقون إفادة كبرى، بسبب هذه الدراسات المقارنة التي نهضوا بها، فقد أتاحت لهم معرفة أواصر العلاقات بين هذه اللغات السامية، وتوصلوا إلى كثير من الظواهر اللغوية، التي ظلت غامضة وعصية على أفهام العلماء والباحثين، الذين لم يتيسر لهم الاطلاع على هذه اللغات السامية، ومعرفة العلاقات اللغوية فيما بينها، لقد مكنت مثل هذه الدراسات المقارنة العلماء من القدرة على كشف اللثام عن كثير من الظواهر اللغوية بأنواعها ومستوياتها المختلفة، ولعل الأمثلة الآتية تؤكد ذلك:

١ - كلمة : "فومها" من قوله تعالى: ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ (البقرة).

قرأها ابن عباس وابن مسعود: بالثاء، فهل أصل الكلمة ، بالفاء أم بالثاء كما قرأها ابن عباس وغيره؟ إن مقارنة بين أصوات اللغة العربية والأخرى السامية، كفيلة بالإجابة عن هذا السؤال.

فالمعلوم أن الشين العبرية ، تقابل : التاء في اللغة الآرامية وتقابل الثاء في اللغة العربية، وأنها تمثل قاعدة صوتية مطردة بين اللغات السامية(١) فكلمة (شُور) Šor في اللغة العبرية ، تقابل (تور) tawrā في اللغة

(١) انظر: أصوات اللغات السامية في كتاب اللغة العربية ١٢٢ــــ١٢٧ .

الآرامية، و(ثور) في اللغة العربية ، وكذلك الحال في كلمة: سوم Šōm، في اللغة العبرية، فهي تقابل كلمة: توْما tawma في اللغة الآرامية، وكلمة: ثوم في اللغة العربية([1]) .

ويدلنا هذا على أن الثاء في كلمة: ثوم، في الآية الكريمة هي الأصل، وأن نطقها بالفاء: فُوم جاء على سبيل تغيُّر صوت الثاء فاء، بفعل قانون المماثلة وتأثر الأصوات ببعضها، وتحول صوت الثاء فاء أمر تبرره القوانين الصوتية، فالثاء : صوت أسناني احتكاكي مهموس مرفق، في حين أن الفاء: صوت شفوي أسناني احتكاكي مهموس مرفق. وهما من ثمة صوتان قريبًا المخرج. ويتفقان في جميع الصفات: الاحتكاك والهمس والترقيق ، ويختلفان فقط في مخرجيهما ، فالفاء صوت شفوي أسناني، والثاء صوت أسناني فقط.

وقد وردت أمثلة أخرى كثيرة أبدلت فيها الثاء بالفاء، ومن ذلك كلمة: اللثام واللفام، وكلمة: جدث، وجَدف، للقبر، وكلمة: حثالة ، وحفالة ، للردئ من كل شيء ([2]).

ويحدث هذا الإبدال بقلب الثاء فاء في لهجات الخطاب المعاصرة في لهجة قطيف بالمملكة العربية السعودية، حيث يبدل الناس في قولهم: "الفلافة في يوم الثلاثاء، كما يقولون: عنب الفعلب" ، في عبارة "عنب الثعلب" وقولهم: "الفار" بالتسهيل أيضًا في كلمة: "الثأر"، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٤٧

(٢) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٣٦ ، وكذا : فصول في فقه العربية ٤٧

ومن ذلك الفعل : "ثاب" في اللغة العربية بمعنى: "رجع" كما في قولنا: ثاب إلى الحق، ثاب إلى رشده ، يعني : رجع إلى الحق، أو: رجع إلى رشده، وأن أصله في اللغة العبرية بالشين هكذا: شاب Šāb وفي اللغة الآرامية: تاب tāb ، بمعنى: رجع مطلقا، وبذلك يكون الفعل: تاب، في لهجات الخطاب العامي ليس أصلاً في اللغة العربية، وإنما هو مستعار من اللغة الآرامية ، وبخاصة من النصوص الدينية، التي استعمل فيها هذا الفعل في الكتب الدينية ([1]).

ذكر النحاة العرب أن الفعل: "ليس" من الأفعال الجامدة التي لا تتصرف، وهي من أخوات : كان، لكن دراسة مقارنة بين اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية، تكشف لنا عن حقيقة هذا الفعل وأصله، وأنه يتألف من جزأين هما: لا : النافية ، وأيس ، وليس لها وجود في اللغة العربية إلا فيما ندر، كقول العرب: "ائتني به من حيث أيس وليس" بمعنى: من حيث هو ولا هو. كقولهم كذلك: الأيس والليس بمعنى الوجود والعدم، وأما في اللغة العبرية فيقال: يئس yēš بمعنى: يوجد ، ونفيها: أل يش al yēš د ، بمعنى: ليس، وكذلك في اللغة الآشورية : إشُو، išaد بمعنى، يوجد، ونفيها: لشَّو Laššu : بمعنى : ليس ([2]).

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٤٨

(٢) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٣٧٣

لجأ النحاة العرب إلى الافتراض بأن أصل الأفعال المعتلة الوسط (الجوف) والآخر (الناقصة) وذلك في مثل الأفعال: قال وباع، وتلا وقضى... إلخ ، أن أصلها: قول وبَيَع، وتلو وقضَى غير أنهم يؤكدون بأن هذا الأصل مجرد افتراض لا وجود له ولم يتكلم به العرب أبدًا!! لكن الرجوع إلى اللغة الحبشية من اللغات السامية، يؤكد لنا أنها تستعمل هذا الاستعمال الصحيح في مثل قولهم: بَيَن بمعنى: تحقق وقولهم: دَين ، بمعنى: دان، ورمَى بمعنى: رمى، وتَلو بمعنى: تلا، وغيرها من الأفعال (١) .

ذكر العلماء العرب أن الأفعال التي وردت فيها الهمزة في مثل: اطمأن واحمأر واشرأب واجزأل ونحوها، إنما هي همزة أصلية لكن المقارنة بنظائرها في اللغات السامية تبين أنها بدون الهمزة ، كما هو الحال في اللغة العبرية فهي: طمن ṭaman ، بدون همز، وأنها كانت كذلك في اللغة العربية بدون الهمزة هكذا: اطمانَّ، واحمارَّ، واشرابَّ، واجزالَّ، وعندما كثر استعمالها في الشعر اضطر الشاعر إلى التخلص من التقاء الساكنين على حدَّ قول النحاة، فأقحموا الهمزة، فنشأت الصيغة:افعأل بدلاً من افعالَّ، ومثالها قول كثير عزة:

وأنتَ ابن لَيلى خَيِّر قومِكَ مشهدًا إذا ما احمأرت بالعَبيطِ العَوالِكُ

(١) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٣٧٤، وفصول في فقه العربية ٤٨

وليس الإتيان بالهمزة في مثل هذه الصيغ إلا تخلصًا من المقطع قليل الشيوع في لغة النثر ولا يرد في الشعر أصلاً، وإذا اضطر الشاعر إليه، همز' فيتحول المقطع إلى طويل مغلق هكذا: ص ح ص، بجلب الهمزة أو نحوها وهو المقطع المديد بحركة طويلة المغلق "ص ح ح ص" حيث لا تأتي إلا بشروط وهي:

١- أن يكون الصامت الأخير في المقطع، هو الصامت الأول في المقطع الذي يليه، وذلك في مثل: ضالين = ص ح ح ص (ضالْ) + ص ح ح ص (لين) أو كما سماه العلماء العرب القدامى : التقاء الساكنين على حدهما.

٢- في حالة الوقف، بعد الحركة الطويلة، في مثل قولنا : دأَبه ، شأَبه ، عند الوقف على الباء في الكلمتين ، ينشأ المقطع المديد المغلق: ص ح ح ص فالكلمة : دأَبه ، تتألف مقطعيًا من : دابْ + به ومقاطعها هي : ص ح ح ص + ص ح ص . وكلمة : احمأر ، التي وردت في شعر كثير عزة كانت في الأصل : احمارَّ، ولأن هذا المقطع: ص ح ح ص ينعدم وروده في لغة الشعر، فقد اضطر الشاعر إلى الهمزة وثم تقسيم المقطع: ص ح ح ص في : (مارَّ) إلى: (مأر) ص ح + ص ح ص + ص ح ؛

للتخلص من التقاء الساكنين : (مار) ألف المد (على حد قولهم) والوقف على الراء.

يرى علماء البصرة أن كلمة: اسم ثلاثية الأصل، وأن همزة الوصل فيها بدل من لام الكلمة المحذوفة وأصلها: سمو. أما علماء الكوفة فإنهم – أيضًا– يرون أن الهمزة بدل من فاء الكلمة المحذوفة، وأن أصلها هو: وسم. وبالمقارنة بين اللغات السامية، فإننا نجد أن هذه الكلمة وكلمات أخرى مثل: يد ودم ذات أصل ثنائي، ففي العبرية نجد : شِمْ šēm وفي الآرامية: شْما šmā ، والألف الأخيرة فيها أداة التعريف، وفي الحبشية: سِمْ sem وفي الأكادية: شُمُ šumu وتكون همزة الوصل من ثمة في العربية قد جيء بها للتمكن من النطق بالساكن، حيث يصعب ذلك على ألسنة العرب.

وغيرها من الظواهر اللغوية الكثيرة، التي يمكن تجلية أمرها، والوصول إلى الحقيقة اللغوية والأصل اللغوي التاريخي لها باستعمال الدراسات المقارنة (١) بين اللغة العربية واللغات السامية الأخرى. بل إن الفائدة لا تنحصر فحسب في مجال اللغة العربية الفصحى، وإنما يمتد الأمر فينسحب على اللهجات والاستعمال العامي، ففي اللهجات العامية

---

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٤٩ .

يستعمل العامة صيغة: انفعل في مثل: انكتب وانفهم ومضارعها: مثل ينعمل بدلاً من الصيغة الفصيحة: كُتب وفُهم ويُعْملُ.

وقد ورد مثل ذلك في اللغة العبرية حيث توجد الصيغة الأولى: انفعل، لكنها فيها على وزن نِفْعل ، في مثل: نقتل. بمعنى : قُتل. وفي الآرامية توجد الصيغة الثانية وهي على وزن : اتفعل، وذلك مثل: اتقْتل بمعنى : قُتل (١).

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٤٩